جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

محاضرات في مقياس:

مدخل إلى تاريخ الحضارة الإسلامية

مطبوعة بيداغوجية موجّهة لطلبة السنة الأولى علوم إنسانية.

السنة الجامعية:

2025 - 2026 م

معلومات حول المقياس:

_ عنوان الليسانس: جذع مشترك علوم إنسانية

_ السداسي: الثاني

_ اسم الوحدة: الاستكشافية

_ اسم المّادة: مدخل إلى تاريخ الحضارة الإسلامية

_ الرصيد: 01

_ المعامل: 01

إعداد الأستاذ : عبد الحميد بودرواز

الرتبة : أستاذ محاضر "أ"

الإيميل المهني: abdelhamid.boudrouaz@univ-msila.dz

أهداف التعليم: (ذكر ما يفترض أن يكتسبه الطالب من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر).

تعريف الطالب بتاريخ الحضارة الإسلامية عامة، وبدور المسلمين في النهضة بالعلوم والمعارف وبمآثر الحضارة الإسلامية العلمية والعمرانية

1- المعارف المسبقة المطلوبة:

قبل الشروع في دراسة مقياس "مدخل إلى الحضارة الإسلامية"، من المتوقع أن يكون لدى الطالب بعض المعارف والمهارات الأساسية التي ستساعده على استيعاب المادة العلمية بشكل أفضل. هذه المكتسبات القبلية يمكن أن تشمل:

- **معرفة بديانات العالم:** فهم أساسي للأديان السماوية الأخرى، خاصة اليهودية والمسيحية، حيث أنها تشكل خلفية تاريخية وثقافية مهمة لفهم نشأة الإسلام وتطوره.
- **المفاهيم التاريخية الأساسية:** معرفة بمفاهيم مثل الحضارة، الدولة، المجتمع، التغيير التاريخي، وغيرها من المفاهيم التي تساعد في فهم التطور التاريخي للحضارة الإسلامية.
- **جغرافية العالم الإسلامي:** معرفة بالدول العربية والإسلامية، وموقعها الجغرافي، وتاريخها.
- معرفة أساسية باللغة العربية، حيث أنها لغة القرآن الكريم ولسان الحضارة الإسلامية.
- معارف عامة حول أشهر الاختراعات الإسلامية في مجال العلم.
- معارف عامة حول التأثير الإسلامي في نهضة أوروبا.

2- المهارات والمعارف التي يكتسبها الطالب من المقياس:

عند الانتهاء من آخر حصة في هذا المقياس الدراسي، يجب أن يتمكن الطالب على الأقل من التعامل مع بعض هذه المكتسبات المتمثلة في:

- يتعلم الطالب كيفية جمع المعلومات من مصادر متنوعة، وتحليلها، وتقييمها، وصياغة النتائج بشكل علمي ومنطقي .
- يتدرب الطالب على كتابة الأبحاث والمقالات، وتحليل النصوص التاريخية والأدبية، وتقديم العروض التقديمية .
- يطور الطالب قدرته على التفكير النقدي وتحليل المعلومات بشكل موضوعي، والوصول إلى استنتاجات منطقية .

- يتعلم الطالب كيفية التواصل الفعال مع الآخرين، سواء كان ذلك بشكل شفوي أو كتابي، وتقديم أفكاره بوضوح وإقناع .
- يتعلم الطالب كيفية العمل ضمن فريق لتحقيق أهداف مشتركة.

- **وصف المقياس:**

مقياس "مدخل إلى الحضارة الإسلامية "هو مسار تعليمي يهدف إلى تقديم نظرة شاملة ومتعمقة عن الحضارة الإسلامية، بدءًا من نشأتها وتطورها وصولاً إلى تأثيرها الكبير على مختلف جوانب الحياة البشرية. يعتبر هذا المقياس بمثابة بوابة لاستكشاف هذا الإرث الحضاري الغني والمتنوع.

1.2: أهميّة دراسة مقياس مدخل إلى تاريخ الحضارة الإسلامية:

- **فهم الحاضر:** تساعد دراسة الحضارة الإسلامية على فهم جذور الحضارات السابقة وتأثيرها على الثقافات المعاصرة المختلفة.
- **تقدير التنوع الثقافي:** تزرع دراسة الحضارة الإسلامية التقدير للتنوع الثقافي والإنساني.
- **تعزيز الحوار بين الثقافات:** تساهم في تعزيز الحوار بين الثقافات وبناء جسور التواصل.
- **إثراء المعرفة:** تفتح آفاقاً جديدة للمعرفة وتوسع مدارك الفرد.

2.2: الأهداف العامة للمقياس :

- ما يفترض أن يكتسبه الطالب من مؤهلات بعد نجاحه في هذا المقياس تاريخ الحضارة الإسلامية إلى:
- **التعريف بالحضارة الإسلامية:** تقديم تعريف شامل للحضارة الإسلامية وتحديد خصائصها المميزة .

- **استكشاف الجذور التاريخية:** تتبع جذور الحضارة الإسلامية وتأثيرها في تشكيل الحضارات الأخرى .
- **تحليل الإسهامات الحضارية:** دراسة إسهامات الحضارة الإسلامية في مختلف المجالات العلمية والفنية والأدبية .
- **فهم التنوع الثقافي:** تسليط الضوء على التنوع الثقافي داخل العالم الإسلامي .
- **تقييم التراث الإسلامي:** تقييم إرث الحضارة الإسلامية وتأثيره على الحاضر والمستقبل.

معرفة دور المسلمين في النهضة والمعارف.

2.3 محتوى المقياس حسب مشروع التكوينcanevas :

محتوى المادة: (إجبارية تحديد المحتوى المفصل لكل مادة مع الإشارة إلى العمل الشخصي للطالب).

يحتوي هذا المقياس على عدة أنشطة تعليمية في شكل محاضرات تأتي ضمن تسلسل بيداغوجي يسمح باستيعاب المفاهيم التي تطرق إليها أساسيات المقياس وهي كالتالي:

1) تعريف الحضارة الإسلامية.

2) جغرافية الحضارة الإسلامية.

3) مصادر تاريخ الحضارة الإسلامية.

4) الحواضر الإسلامية الكبرى في المشرق والمغرب والأندلس.

5) علوم الطب والصيدلة في الحضارة الإسلامية.

6) علم الفلك و الأسطرلاب.

7) علم الكيمياء.

8) علم الرياضيات والبصريات.

9) العمارة الإسلامية.

10) القوانين والأنظمة الاجتماعية.

11) الأسواق في الحضارة الإسلامية.

12) الفنون الإسلامية.

13) الحرف والصناعات.

14) أثر الحضارة الإسلامية على أوروبا.

15) تراجم لأشهر العلماء المسلمين في العلوم العقلية.

طريقة التقييم: (مراقبة مستمرة، امتحان...إلخ).
علامة الامتحان60% + الأعمال الموجهة 40%.

2.4: بيبلوغرافيا المقياس والموارد الإضافية:

يُمكن الحصول على المادة الخبرية العلمية والمعرفية لمقياس مدخل للحضارة الإسلامية من خلال:

- **مواقع الإنترنت – الكتب** المقالات: يمكن للطالب الاعتماد على هذه المراجع المقترحة لاستيعاب المحاضرات ومقياس مدخل للحضارة الإسلامية ككل.
- **<u>المؤلفات</u>:**

_ **<u>المراجع</u>:** (*كتب، ومطبوعات، مواقع إنترنت*، إلخ).

1. ابن خلدون عبد الرحمان، **المقدمة:** تح. عبد الله محمد الدرويش، ج2، دار يعرب، ط1.2004.
2. ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين بن مكرم الأنصاري: **لسان العرب**، حاشية اليازجي وآخرون، بيروت، دار صادر، ط1414ه، ج 4.
3. أبو عبيدة، طه عبد الحميد عبد المقصود: **الحضارة الإسلامية– دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية–**، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان 2004.
4. أبو عبيدة طه عبد المقصود عبد الحميد: **الحضارة الإسلامية – دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية**. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية. 2004.
5. أحمد حامد المجالدي، هايل خليفة الدهيسات: **الحضارة العربية الإسلامية أسسها ومنجزاتها**، ط1، كنوز المعرفة الأردن، 2012.
6. أحمد محمود صبحي صفاء عبد السلام جعفر: **فلسفة الحضارة (اليونانية، الإسلامية، الغربية)**، دار النهضة العربية 1999.
7. ألبرت شفيتزر: **فلسفة الحضارة**، تر، عبد الرحمن بدوي، مراجعة زكي نجيب محفوظ، المؤسسة المصرية العامة، ط1963.
8. بوعزيز يحي: **موجز تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

9.الربعي بن سلامة: **الحضارة العربية الإسلامية**، د. المطبوعات الجامعية، الجزائر 2009.

10. ربوشة عبد المعز وآخرون: **الحضارة الإسلامية، مفهومها، مصادرها، خصائصها، مراكزها، أثرها، علومها، فنونها**. دار المعلم الجامعي، القاهرة – مصر (2023).

11. السايح أحمد عبد الرحيم: **فلسفة الحضارة الإسلامية**، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الدينية ط، 1989.

12. سلامة صالح النعيمات وآخرون: **الحضارة العربية الإسلامية**، القاهرة – مصر، 2008.

13. شايف عكاشة: **الحضارة العربية الإسلامية بين التطور والتخلف**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994.

14. الشريف أحمد إبراهيمي: **دراسات في الحضارة الإسلامية**، دار الفكر العربي (1995).

15. الشويخات أحمد: الموسوعة العلمية العربية، 2004.

16. صبحي أحمد محمود: فلسفة **التاريخ**، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1975.

17. عاطف علبي: **الحضارة العربية الإسلامية ودورها في تكوين الحضارة الأوروبية**، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 2009.

18. العامري محمد بشير: **مظاهر الإبداع الحضاري في التاريخ الأندلسي**. المنهل لنشر والتوزيع 2012.

19. عبد الحميد سعد زغلول: **العمارة والفنون في دولة الإسلام**. منشأة المعارف، الإسكندرية 1986.

20. عبد اللاوي موسى: **الحضارة الإسلامية وآثارها على المدنية الغربية**. الناشر دار العلوم، الجزائر 2008.

19. لوبون غوستاف: **حضارة العرب**، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013.

20. فاضل محمد الحسيني: **آفاق الحضارة العربية الإسلامية**، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2006.

21. فؤاد زكريا: **الإنسان والحضارة**، مؤسسة هنداوي، ط2017م.

22. ماجد، عبد المنعم: **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**. مصر: المكتبة الأنجلو المصرية .2010.

23. مالك بن نبي: **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، تر: بسام بركة، أحمد شعبو، دار الفكر المعاصر، سوريا، 2002.

24. جوميث مورينو مانويل: **الفن الإسلامي في إسبانيا**، تر: لطفي عبد البديع وعبد العزيز سالم، المصرية للتأليف والترجمة، مصر 1986.

25. المنجد في اللّغة والأعلام، منشورات دار المشرق، ط27، بيروت– لبنان، 1984.

26. المنياوي أحمد: أشهر **مدن العالم القديم**، دار الكتاب العربي، حلب، سوريا، 2010.

27. هونكه زيغريد: **شمس العرب تسطع على الغرب؛ أثر الحضارة العربية في أوروبا**، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت 1981.

28. ويل ديورانت: **قصة الحضارة**، تر زكي نجيب محمود، بيروت، المنظمة العربية للثقافة، دار الجيل، ج1،

29. يحياوي عبد القادر: **تاريخ العالم المعاصر**، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001.

30. اليوسف عبد القادر أحمد: **علاقات بين الشرق والغرب**، المكتبة العصرية، القاهرة، 1969.

31. توينبي أرنولد: **مختصر دراسة التاريخ**، تر: محمد فؤاد شبل، المركز القومي للترجمة. القاهرة ،2011.

32. الوكيل محمد السيد: **قواعد البناء في المجتمع الإسلامي**، ط2، دار الوفاء، المنصورة، مصر 1989.

33. السرياني محمد محمود: **الوجيز في جغرافية العالم الإسلامي**، دار عالم الكتب،2000.

34. الفاروقي إسماعيل راجعي. الفاروقي لويس لمياء: **أطلس الحضارة الإسلامية**، مكتبة العبيكان. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، المملكة العربية السعودية 1998.

35. الصالح محمد أديب: **مصادر التشريع الإسلامي ومناهج الاستنباط**، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض 2002.

36. محمد علي ماهر عبد القادر: **مناهج العلوم عند المسلمين قديما وحديثا**، دار أورينتال للنشر، مصر 2007.

37. محمد عبد الستار عثمان: **المدينة الإسلامية**، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1988.

38. رمضان عاطف منصور محمد: **النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة 2008.

39. الحموي ياقوت: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت 1995، ج1-ج5.

40. البكري أبو عبيد: **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ط 3، ج5، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ.

41. ابن حوقل محمد البغدادي الموصلي: **صورة الأرض**، دار صادر. إفست ليدن، بيروت، 1938م، ج1

42. ابن جبير أحمد الأندلسي: **تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار**، دار الهلال، بيروت1908.

43. فكري أحمد: **المسجد الجامع بالقيروان**، مطبعة المعارف، مصر 1936.

44. شاوش محمد بن رمضان: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2011.

45. أحمد حامد المجالدي، هايل خليفة الدهيسات : **الحضارة العربية الإسلامية أسسها ومنجزاتها**، ط1، كنوز المعرفة، الأردن، 2012.

46.فاضل محمد الحسيني : **آفاق الحضارة العربية الإسلامية**، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2006.

47.الربعي بن سلامة : **الحضارة العربية الإسلامية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2009.

48. عاطف علبي : **الحضارة العربية الإسلامية ودورها في تكوين الحضارة الأوروبية** ، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان ، 2009.

49. سلامة صالح النعيمات وآخرون : **الحضارة العربية الإسلامية** ،القاهرة مصر، 2008.

50. شايف عكاشة : **الحضارة العربية الإسلامية بين التطور والتخلف**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994.

51. جابر بن حيان: **الخواص الكبير**، مخطوط محفوظ في المكتبة البريطانية تحت رقم: ii+99+i ، المكتبة الرقمية القطرية 2025.

52. ثابت بن قرة: **المدخل إلى علم العدد الأرثماطيقي**، المكتبة الرقمية القطرية، رقم: AddMS7473.FF122r.164rK المادة 58.

53. **موسوعة الحضارة الإسلامية**: المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، السعودية1993، صفحة 445.446.

54.سيد أمير علي: **روح الإسلام**، دار إحياء الكتب العربية، 2022.

55. الحسن بن الهيثم: **كتاب المناظر**، تح ومرا عبد الحميد صبرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت1983.

_ المحاضرات والمنشورات الجامعية:

1.بودرواز عبد الحميد: **مدخل إلى تاريخ الحضارة الإسلامية**، محاضرات عبر الخط: https://elearning.univ-msila.dz/moodle/course/view.php?id=12741&lang=fr.2024 .

2. شني فيروز: **الحضارة العربية الإسلامية**. محاضرات جامعة الإخوة منتوري-قسنطينة.2022

3. صالحي جمال: **تاريخ الحضارة الإنسانية**، محاضرات مدخل تاريخ الحضارات الإنسانية، جامعة ابن خلدون، تيارت، كلية الأدب ،2023.

4. عمراوي جواد، **الحضارة الإسلامية:** شهادة ماجستير علاقات دولية، جامعة الحرة الأهواز إيران دون تاريخ. متوفر على الموقع: www.taghrib.org.article

5. الكافي منصور: **مدخل إلى تاريخ الحضارة الإسلامية**، مطبوعة بيداغوجية موجّهة لطلبة السنة الثانية ليسانس جذع مشترك، جامعة باتنة 01، كلية العلوم الإسلامية، قسم اللّغة والحضارة الإسلامية، 2020-2021.

6. مرزوقي نور الدين:**مدخل إلى تاريخ الحضارة الإسلامية**، محاضرات جامعة العربي بن مهيدي ام البواقي،2022.

1. أولداش مصطفى: **علم الفلك عند العلماء المسلمين**، مجلة بشائر العلوم، المدرسة العليا للأساتذة، القبة، العدد3، جوان. 2022

2. الشطي أحمد إياد: الحضارة **العربية الإسلامية من الاقتباس إلى الأصالة والإبداع والعالمية**، شوهد في :6 أفريل 2023 متوفر على الموقع: https://educ.el-emarat.com

3. بلبول نصيرة: **منطلقات اقتران الثنائية الثقافية الحضارية**، مجلة العلوم الإنسانية" العدد 1، 2020م، المجلد 20.

4. ملكاوي أسماء: حالة **العالم الإسلامي؛ أرقام ومؤشرات**، نشر بتاريخ30. 2004.10.

5. ربوح عبد القادر، مظاهر التقدم الفكري في الحضارة الإسلامية، **مجلة أنسنة للبحوث والدراسات**، العدد13، الجزائر2015.

6. صالح نعمان: تاريخ انتقال المنطق اليوناني إلى العالم الإسلامي وموقف مفكري الإسلام منه، **مجلة الحضارة الإسلامية**، مج2، عدد 02، جامعة وهران الجزائر 1996.

7. حسين كريم حميدي: أثر علماء الهند في المعارف والعلوم في العالم الإسلامي، العدد 27، **المجلة الأكاديمية للعلوم**، العراق 2019.

المحاضرة الأولى:

مفهوم الحضارة الإسلامية، وخصائصها وأنواعها:

الهدف من الدرس: سيتمكن الطلبة من التعرف على الحضارة كمفهوم، والتعرف على الحضارة الإسلامية، وخصائصها، إضافة إلى توضيح مقوّمات الحضارة الإسلامية.

تمهيد:

تتشكل الحضارة وفق عملية تفاعل بين الإنسان والبيئة التي يشغلها، وتتجلى بدراسة مظاهرها الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية والفكرية والدّينية، فتاريخ الحضارة هو تاريخ صراع الإنسان مع الطبيعة وتفاعله معها؛ فالحضارة وليدة الإنسان والطبيعة معا، ورغم أنها قامت وتقوم في بيئات بشرية وجغرافية تختلف في مظاهرها إلاّ أنّ هناك بعض الشروط التي تساعد على نمو هذه الحضارة وتطورها أو تقزّمها واضمحلالها من جهة أخرى كالمقوّمات الجغرافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية وغيرها، والحضارة ليست من صنع الفرد وإنما تصنعها المجتمعات البشرية بتظافر جهودها وتراكم إنتاجها ومخلفاتها، وتفاعلها مع البيئة التي هي أساس لنشوء الحضارة وتطورها، وهي وليدة اتصال وتمازج و تلاقح شعوب متعددة ويظهر ذلك كلما تطورت الشعوب ووسائل الاتصال في ما بينها.

لقد أخذت الحضارة الإسلامية من الحضارات السابقة التي سادت في أرجاء شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ومزجتها حتى وصلت مرحلة الابتكار والإبداع وبالتالي الارتقاء على مسرح الحركية والتطور الذي وصل إلى أوجه في القرن الرابع الهجري وسادت لعدّة قرون وغلبت عليها روح الإبداع رغم ثوب المحافظة والتقليد.

تعريف مفهوم الحضارة:

كلمة الحضارة كما نستخدمها اليوم ترجع إلى عهد حديث نسبيا من حيث الوظيفية، لأن اللّغة العربية واللّغات الأوروبية قد عرفت لفظ الحضارة منذ عهد بعيد، ولكنه لم يتخذ معنى محددًا، إلا بعد أن نشأت الدراسات الخاصة المعروفة باسم (تاريخ الحضارة) فأدت إلى استبعاد كثير من معانيه الأخرى في اللّغات الأوروبية بوجه خاص، مثل معنى التثقيف والتهذيب والزرع والتربية النباتية إلخ....، ولعل المصنّفات والمؤلّفات في مجال تاريخ وفلسفة الحضارة تؤكّد إلى حدّ بعيد مدى التحوّل والتطوّر الدلالي الّذي رافق هذا المصطلح، من كونه مجرد لفظ ذي دلالة بسيطة إلى لفظ ذي دلالة واسعة و ثريّة، و هذا التطور لا يقتصر على اللّغة

العربية بل هو كذلك في غيرها. فمفهوم "كلمة الحضارة مفهوم متطور مع الزّمن" (صالحي، 2023، صفحة 111).

أ-لفظة حضارة لغة:

"حضر" : الحضورُ : نَقِيضُ المغيب والغَيْبةِ ؛ حَضَرَ يَحْضُرُ حُضُوراً وحِضَارَةً ويُعَدِّي فَيُقَالُ: حَضَرَه وحَضِرَه ... وكان ذلك بحضرة فلان وحضرته وحضره ومَحْضَرِه، وكلّمتُه بِحضرة فلان وبمحضر مِنْهُ أي بِمَشْهَدٍ مِنْه... والحَاضِرُ: المُقِيمُ في المدن والقُرَى، وَالْبَادِي الْمُقِيمُ بِالْبَادِيَةِ، وَيُقَالُ: فلانٌ مَنْ أهل الْحَاضِرَة وَفُلَانٌ مَنْ أهل الْبَادِيَةِ، وَفُلَانٌ حَضَرِيٌّ وَفُلانٌ بَدَوِيٌّ والحضارة الإقامة في الحضر (ابن منظور، ج4، 1441هـ، صفحة 149)

الحضارة في اللّغة الأجنبية:

ويلاحظ أن كلمة الحضارة "civilisation" في اللّغة الإنجليزية وفي اللّغة الفرنسية، وفي اللّغات الأوروبية: مشتقة من اللّغة اللاتينية الأم ويظهر ذلك في ثلاث كلمات وهي " Civitas»: والتي تعني المدينة، "Civils"، ومعناها مساكن المدينة الكلمة الثالثة "Civilis" ويراد بها مدني أو ساكن المدينة. وهذه المعاني كلّها فيها دلالة على المدينة التي هي عكس البادية أو الرّيفDictionnaires Français-Arabe

Édition les palmiers, paris,1988, mot civilisation.

ب-الحضارة اصطلاحا:

_عند ابن خلدون: وقد عرفها في مقدمته بأنها: "أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرّفهِ وتفاوت الأمم"، ويضيف ابن خلدون أنها: " تفنن في الترف... والصنائع المستعملة في وجوهه، ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش وسائر عوائد المنزل وأحواله"(ابن خلدون، المقدمة، ج1،2004، صفحة 213).

ويرى مالك بن نبي أنّ: "الحضارة هي جملة العوامل المعنوية والشروط والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره" (ابن نبي، مشكلة الأفكار...، 2002، صفحة 70).

أما أرنولد توينبي " فقد كان تفسيره النهائي للتاريخ تفسيرا دينيا في جوهره فهو يربط الحضارة بالكنيسة الكاثوليكية، فالحضارة في رأيه تنشأ عن الأديان – وهي في رأيه – الحضارة الغربية وحدها التي تحافظ على الشرارة الإلهية الخلاّقة وهي وحدها القادرة على ألاّ تؤول إلى ما آلت إليه سابقاتها..." (توينبي، مختصر دراسة التاريخ،2011، صفحة 149). إنها حصيلة عمل الإنسان في الحقل الاجتماعي والمناقبي وهي حركة صاعدة، وليست وقائع ثابتة وجامدة، إنها رحلة مستمرة لا تقف عند ميناء ما. (صالحي، 2023، صفحة 113). ويرى كذلك أنّ الحضارات تولد مع الوقت، وتحثّ الظروف الصعبة الإنسان على التحضّر في بيئات طبيعية أو ظروف بشرية، وبالتالي يستبين لنا أن السهولة عدوّ الحضارة وهادمها.

❖ **تعريف الحضارة الإسلامية:**

هي كل ما قدّمه المجتمع الإسلامي للبشرية من قيم ومبادئ في الجوانب الروحية والأخلاقية ومن منجزات واكتشافات واختراعات في الجوانب التنظيمية والتطبيقية.

وعليه تعرف الحضارة الإسلامية بأنها ما جاء به الإسلام للبشرية من قيم ومبادئ وقواعد للمضي قدما نحو الشأن المرتفع والحياة السامية الفضلى، وبالتالي التقدم والتطور في الجوانب المادية والمعنوية التي تسهّل على الإنسان حياته وتنظمها.

كما يمكن تعريف الحضارة الإسلامية بأنها حصيلة امتزاج الشعوب العربية وغير العربية التي اعتنقت الإسلام وثقافته، كما هي نتاج لالتقاء الحضارات والثقافات التي شملتها الفتوحات الإسلامية حول بعضها البعض وإتباعها المنهج الإسلامي بتطبيق مبادئه وقيمه، وبلغت ذروتها في العصر الذهبي للإسلام، وكان ذلك منذ منتصف القرن الثامن وحتى الرابع والخامس عشر للميلاد. شهدت الحضارة الإسلامية خلال هذه الفترة تقدما في المجالات العلمية والتجارية والاقتصادية والصناعية وغيرها (الوكيل ،1989، ص06).

- **أنواع الحضارة الإسلامية:**

تصنف الحضارة الإسلامية إلى عدة أنواع وهي:

1- حضارة التاريخ: تسمى أيضا حضارة الدول، وهي تلك التي جاءت بها الدول الإسلامية سعيا لرفع الشأن الإنساني وتقديم الخدمة له، وشملت المجالات الزراعية والصناعية والتعليم وركزت على طبيعة العلاقة بين الدولة الإسلامية والدول الأخرى. (شني، 2022، ص 01).

2-الحضارة الإسلامية الأصيلة: قام هذا النوع من الحضارات خصيصا لتقديم الخدمة للإنسان بكافة أشكالها وتشمل على ما أتى به الدين الإسلامي من عقيدة وسياسة واقتصاد وتربية وقضاء.

3- الحضارة المقتبسة: يطلق على هذا النوع مسمى "البعث والإحياء"، ويعتبر قيام هذه الحضارة بمثابة خدمة كبيرة للبشرية، وتمثلت في قيام المسلمين بإحياء ما مات عبر السنين من علوم وحضارات، وتمثلت أيضا في الجوانب الأخلاقية.

- **خصائص الحضارة العربية الإسلامية:**

الملاحظ أن لكل أمة من الأمم حضارة خصائص خاصة بها، لأن حضارة أي أمة إنما هي أفكار عقيدتها أو فلسفتها التي تؤمن بها والتي تمثل وجهة نظرها عن الحياة، وهذا هو سر اختلاف الحضارات وتمايزها. ومن هنا تميزت الحضارة العربية الإسلامية عن الحضارات الأخرى سواء القديمة منها أو الحديثة بما يلي:

1- **التوحيد والوحدانية المطلقة:** جاء الإسلام بعقيدة التوحيد التي تفرد الله تعالى بالعبادة والطاعة فليس هناك إله غير الله تعالى وأنه وحده الخالق، وهو مالك كل شيء، لا ينازعه ولا يشاركه أحد. وهو وحده الذي يتوجه إليه بالعبادة ويلجأ إليه في الشدائد.

2- **الأخلاقية في المبادئ والأهداف:** تسعى الحضارة الإسلامية إلى تكوين مجتمع تسوده القيم الخلقية والمثل العليا، بحيث أن الأخلاقية تدخل في الحكم والعلم والتشريع والحرب

والسلم والاقتصاد والأسرة تشريعا وتطبيقا القيم حتى بلغت منزلة كبيرة في الحضارة الإسلامية لم تبلغها أي حضارة أخرى قديما وحديثا.

3- التوزان والوسطية والإيجابية: فيما يتعلق بخاصية التوازن ففي الحضارة الإسلامية المتوازنة فتعني استقامة المنهج والبعد عن الانحراف كما تعني العدل والاعتدال، بلا ميل ولا غلو شديد، ولا تقصير كبير.

4-وسطية الحضارة الإسلامية مستمدة من وسطية الإسلام كمنهج وكنظام حياة، ومن وسطية العقيدة الإسلامية (شني، 2022، صفحة 3).

5- حضارة إنسانية: هي تلك التي جاءت لتحتضن جميع الشعوب والأمم، ولا تقتصر على جنس بشري أو إقليم جغرافي معين، وتركز جل اهتمامها على الإنسان وتحقيق الرفاهية والسعادة له.

6- حضارة معطاءة: يشير مفهوم هذه الخاصية إلى أن الحضارة قدمت للعالم ومدت له يد العون في إمداده بالعلم والمعرفة الزاخرة، ما يضمن الرقي والفائدة.

7- حضارة متوازنة: هي تلك الحضارة التي حافظت على توازن الجانبين المادي والروحي، وتحقيق العدالة بينهما، ويعتبر التوازن أحد خصائص الفكر الإسلامي.

8- حضارة ربانية: هي تلك التي جاءت وتطورت بعد نزول الوحي على رسول الله صل الله عليه وسلم.

9- حضارة باقية: يعني أنها لا يمكن لها الفناء، وباقية إلى يوم القيامة وهذا راجع إلى تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ الدين الحنيف. (شني، 2022، صفحة 3).

المحاضرة الثانية:

الامتداد الجغرافي والإنساني للحضارة الإسلامية وأهدافه:

الهدف من الدرس: سيتمكن الطلبة من فهم أعمق وأشمل لطبيعة هذه الحضارة وتأثيرها على العالم من حيث استطاعة الحضارة الإسلامية أن تجمع بين شعوب وثقافات متنوعة تحت راية واحدة مع الحفاظ على هويتها الإسلامية.

تمهيد: أصبحت الجغرافيا مجالا هاما للدراسة، خاصة مع انتشار أعمال الخوارزمي، الذي يعتبر من أوائل الجغرافيين والرياضيين الموهوبين، كتابه الشهير "شكل الأرض" ألهم جيلا كاملاً من الكتاب في بغداد وإسبانيا المسلمة (الأندلس)، وأصبح هذا العمل مصدرا رئيسيا وعاملا لتحفيز وإجراء العديد من الحفريات والتحليل اللاحق وتسجيل البيانات الجغرافية التي تمّ الحصول عليها والمعروفة سابقا بين جيل علماء المسلمين أو علماء من بقية أنحاء العالم.

- **المجال الجغرافي والبشري للعالم الإسلامي:**

انطلقت الحضارة العربية الإسلامية من شبه الجزيرة العربية (610م) تاريخ نزول الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لتمتد شرقا حتى أندونيسيا، وغربا حتى المغرب والأندلس وشمالا حتى القوقاز، وجنوبا حتى أواسط إفريقيا. (مرزوقي، 2023، صفحة 04).

ويمتد العالم الإسلامي بين خط طول 18° غربا و140° شرقا وبين دائرة عُرض 10° جنوب خط الاستواء و55° شمالا. وتبلغ مساحة العالم الإسلامي حوالي 32 مليون كم^2 (أي ما يقارب ربع مساحة اليابسة البالغة حوالي 149 مليون كم^2).

ويبلغ عدد الدول الأعضاء في منطقة العالم الإسلامي ستا وخمسين دولة تتوزع على أربع قارات، إلا أنها تتركز أساسا في قارتي إفريقيا وآسيا حيث يوجد في الأولى 26 دولة وفي الثانية 27، إضافة إلى دولتين في أمريكا الجنوبية (سورينام وغويانا) وواحدة في أوروبا (ألبانيا). أما بشريا، فيبلغ عدد سكان العالم الإسلامي حوالي ملياري نسمة (إحصائيات :2022)، ويشكلون 25% من مجموع سكان العالم البالغ حوالي ست مليارات نسمة. (مرزوقي، 2023، صفحة 04).

تطورت الحضارة العربية الإسلامية خلال العصور التي درج المؤرخين الأوروبيين على تسميتها بالعصور الوسطى، فقد شهد القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي تكوين الدولة العربية الإسلامية ووصولها إلى أقصى حدود اتساعها حيث كان أولها انتصار الدعوة الإسلامية وسيادته على الجزيرة العربية ثم تلتها موجة الفتح الأولى في عصر الخلفاء الراشدين التي أدت إلى ضم كل من بلاد العراق وإيران في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة وسوريا

ومصر في الشمال والجنوب الغربي منها، وتلتها مرحلة حكم بني أمية عندما ساد الفتح على كل ما يسمى الوطن العربي في هذا العصر، يضاف إليه شرقا المنطقة الممتدة من إيران إلى تركستان الروسية وحتى حدود الصين في الشمال الشرقي ووادي البنجاب في الهند من جهة الجنوب الشرقي، أما في الغرب فقد انضوى تحت لواء الدولة الإسلامية كل من شمال إفريقيا واسبانيا. (بودرواز 2024، صفحة 01).

يمكن تصنيف البلدان التي سادتها الحضارة العربية الإسلامية إلى منطقتين: الوطن العربي الحالي وتتكون من بيئة تكاد تكون واحد ويعمرها أناس متقاربون أو متماثلون من ناحية الأصول وتقاربهم في اللّغات بحيث تكوِّن أسرة لغويةً متمايزة عن مجموعات اللّغات الأخرى، أما المنطقة الثانية فهي كل ما دخل في سيادة الدولة الإسلامية، وانفصل عنها فيما بعد سياسيا وحضاريا وثقافيا، وخاصة في ميدان اللّغة ضمن إطار هذا التصنيف كانت أرض الدولة الإسلامية مكوّنة من بلاد متميزة في مجالات متعددة، كالخليط البشري والموارد الاقتصادية الناجمة في الأغلب عن الشروط الطبيعية وهذه البلاد هي: شيه جزيرة العرب، العراق، بلاد الشام، مصر، بلاد فارس، بلاد المغرب والأندلس.

أما فيما يخصّ شبه الجزيرة العربية فعلى أرضها أشرق الإسلام وقامت دعوته وتأسست دولته ومنها خرج الفاتحون لتبليغ دعوته لكنّ الفتوحات لم تلبث أن أفقرتها بشريا واقتصاديا وبالتالي سياسيا، فقد غادرته إثر الفتوحات عناصر من سكانه لتشارك في الفتح أولا ومن ثم لتقيم في الأراضي المفتوحة على طول المنطقة وعرضها، ابتداء من خراسان في شمال إيران إلى الأندلس غربا، وفقدت شبه الجزيرة العربية دورها التجاري القديم بمرحلية كصلة وصل بين عالم الشرق الأقصى والمتوسط، عبر الطريق الذي يبدأ من جنوبها ويعبر منطقتها الغربية برًّا إلى الشام ومصر، والذي كان أساس ازدهار اليمن وسمو مكانة مكّة، وهكذا يبرز الدور الاقتصادي للجزيرة متمثلا في منطقته الغربية ذات صلة الوصل بين عالم الحضارة الإسلامية وشواطئ إفريقيا الشرقية. (بودرواز 2024، صفحة 02).

أما العراق فيحيط بشبه الجزيرة العربية وتتكون من سلسلة من الهضاب الخصبة إلى السهول الجافة التي تتجه من شمال جبال طوروس وزاغروس شرقا نحو البحر المتوسط، ومع ذلك فإنها تتألف بدورها من مناطق ذات خصائص مميزة. فهناك ما بين دجلة والفرات أقيمت منذ العهد الساساني مشاريع ريّ هائلة، وخاصة في الجنوب الشرقي من المنطقة أي في منطقة عربستان، التي تضم حوض قارون والكرخة وأصبحت مخزنا للسكر في العصور الإسلامية. ويتم الانتقال من العراق إلى بلاد الشام عبر سهل واسع ابتداء من منعطف الفرات حتى الشرق ويكوّن في شماله سهلا مناسبا للرعي ببادية الشام ولكن هذه المنطقة تبدو عقدة مواصلات حيث إليها ينتهي الطريق البحري من الشرق الأقصى الذي يحط في البصرة ثم يحاذي الفرات كما ينتهي الطريق البرّي القادم من الصّين (الفاروقي. 1998، صفحة 264).

وأما بلاد الشام فتكمن أهميته المائية بسهول حوض العاصي وغوطة دمشق والأغوار في الأردن والبقاع، إضافة للسهول الساحلية، لكن شهرتها تتميز بالبستنة والغابات في الجبال. بينما من الناحية السكانية فإن سكان الشام ومابين النهرين امتداد لمكان شبه الجزيرة العربية والصلة بينهما قائمة منذ أقدم العصور؛ حيث سجّل ما سمي بالهجرات السامية من أمورية وكنعانية وآرامية، وظلّ الاتصال قائما بين المنطقتين حتى قبيل الفتح الإسلامي.

وفيما يتعلق بمصر فمعظم أراضي مصر الزراعية تتكون من شريط ضيق حول نهر النيل من الجنوب إلى الشمال، ولعنصر الطبيعة في مصر أثر آخر ينبع من موقعها إذ هي برزخ بين بحرين المتوسط والأحمر وبالتالي ظلّت صلة الوصل في التجارة بين عالمي هذين البحرين، وصارت مركزا بحريا على صعيدي الحرب والسلم (السرياني،2003، صفحة34).

أما بلاد فارس (إيران) فتحيط بها الجبال من الشمال والغرب كما تعلو وسطها وتجعلها مكونة من منطقتين كلاهما صحاري وسهول جافة باستثناء بعض الواحات التي تأتيها من الجبال فتتكون مدن تحيط بها أرض مزروعة، وهذا الوضع هو الذي يفسر شهرة الإيرانيين في طريقة خاصة تتمثل في إقامة سلسلة قنوات تمر بها تحت الأرض لاستخدامها في الري. وهناك طرق تواصل عديدة من بين الشمال والشرق والجنوب وحتى وراء إيران إلى الشمال

الشرقي سيطر المسلمون على إقليم ما وراء النهر وخلفها كان ينتشر النفوذ الصيني حيث اصطدم العرب به خلال العصر الأموي واستطاعوا الانتصار عليه.

أما بلاد المغرب العربي والأندلس فالمعروف أن المغرب منطقة ممتدة من الصحراء الليبية شرقا إلى الأطلسي غربا ومن المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا، وتتشكل أرض المغرب من أشرطة طولانية تمتد من الشرق إلى الغرب أولها من جهة البحر جبال أطلس التل ويليها نحو الداخل منطقة الهضاب العليا وهذا الشكل يفسر لنا الصعوبة التي واجهت مهاجمو المغرب من الشمال كالرومان وسهولة توغل القادمين من الغرب كالوندال أو من الشرق كالعرب ، تظهر هذه التضاريس بوضوح في الوسط (منطقة الجزائر الحالية) لكن الاستثناء يبدو في الأطراف حيث تبتعد الجبال عن البحر مفسحة المجال لانفساح السهول، كما أن خط الساحل في الطرفين يقترب من الجزر الأوروبية الغربية. (بودرواز، 2024، صفحة 03).

واسبانيا فكانت هضبة تنحدر نحو الغرب بشكل عام ولذلك جرت أعظم وديانها نحو الغرب أو الأطلسي، وعاش فيها أيبيريون قدماء وسيطر عليها الرومان ثم الوندال ثم القوط ثم فتحها المسلمون عام 92هـ (711 م) حيث كان لبعد الأندلس عن مركز الدولة الإسلامية أول الأقاليم انفصالا عن جسمها حيث استمرت فيها الدولة الأموية (الفاروقي. 1998، صفحة 259).

- **أهداف الامتداد الجغرافي والإنساني للحضارة الإسلامية:**

كان للامتداد الجغرافي والإنساني السريع للحضارة الإسلامية في العصور الوسطى أهداف متعددة ومتشابكة، يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

– الدعوة إلى الإسلام: كان نشر الدين الإسلامي والدعوة إليه هو الهدف الأساسي والأبرز، فرسالة الإسلام كانت موجهة للبشرية جمعاء، وكان المسلمون يرون في التوسع الجغرافي وسيلة لنشر رسالة الإسلام وتوحيد البشرية تحت راية واحدة.

– توحيد الشعوب: سعت الخلافة الإسلامية إلى توحيد الشعوب المختلفة تحت راية واحدة، وتجاوز الانقسامات القبلية والعرقية والدينية وبناء مجتمع إسلامي واحد يرتبط بصلات الأخوة والإسلام.

– الحماية والتوسّع: كان التوسع الجغرافي وسيلة للحماية من الهجمات الخارجية، وتأمين حدود الدولة الإسلامية، وتوسيع نفوذها وسيطرتها على مناطق جديدة غنية بالموارد.

– التبادل الثقافي والتجاري: ساهم التوسع الإسلامي في تبادل الثقافات والمعارف بين الشعوب المختلفة، ونقل الحضارة الإسلامية إلى مناطق جديدة، وتنشيط الحركة التجارية وتبادل السلع والمنتجات (السرياني،2003، صفحة 32).

– السيطرة على الطرق التجارية: كانت السيطرة على الطرق التجارية الرئيسية هدفاً استراتيجياً مهماً، حيث سمح ذلك للدولة الإسلامية بالتحكم في التجارة العالمية والاستفادة من ثرواتها.

– نشر العدل والمساواة: أراد المسلمون نشر مبادئ العدل والمساواة بين الناس، بغض النظر عن عرقهم أو دينهم، وتوفير الحماية للأقليات الدّينية.

المحاضرة الثالثة:

مصادر الحضارة الإسلامية، القرآن والسنة، الأخلاق والشريعة، اللّغة والوثائق.

الهدف من الدرس:

سيتمكن الطلبة من الفهم العميق للحضارة الإسلامية من خلال الاطلاع على المصادر الأصلية (القرآن والسنة، الأخلاق، العقيدة، اللّغة ... الخ)، ويستطيعون أن يتجاوزوا الرو ايات والتفسيرات المتعددة، ويصلوا إلى فهم أعمق وأشمل لطبيعة هذه الحضارة، وأسسها وتطورها.

تمهيد: تستمد العقيدة والشريعة والأخلاق والحضارة الإسلامية رؤيتها للكون والإنسان وتنظيم العلاقة بالله وبالإنسان من خلال مصدرين أساسين هما: القرآن والسنة. (الكافي، 2021، صفحة 36).

والقرآن الكريم (المصدر الإسلامي الأول والأعظم للتشريع نزل على محمد بن عبد الله بلسان عربي مبين منجما في مدّة (ثلاث وعشرين سنة)، والمتعبد بلفظه ومعناه؛ ولا يجوز عليه التبديل ولا التحريف (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) سورة الحِجر: الآية 09.

ويحتوي القرآن على (114) سورة، وعلى ثلاثين جزءاً، وستين حزبا و (240) ربعا، وعلى نحو (6214) آية بالعد المدني.

❖ **وينقسم القرآن من حيث الإجمال والتفصيل إلى أربعة أقسام:**

1 – التشريع الجَمْلُ: وهو معظم العبادات.

2 – التشريع الذي فيه البيان على نحو ما: كالأحكام المتعلقة بالجهاد والدفاع عن النفس والعلاقات الدولية.

3 – التشريع التفصيلي: ومثاله القصاص والحدود، والحلال والحرام من الطعام، وأصول روابط الأسرة، والميراث.

4 – **القواعد العامة للتشريع والاجتهاد:** هو التنزيل المحكم الذي انتظمت فيه القوانين وقررت بواسطته القواعد التي انضبطت بها سلوك الأمة الإسلامية، ووفق تلك القوانين أقام المسلمون دولتهم وشيدوا حضاراتهم، وفي هذا الإطار نشأت وتطورت نظمهم السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ومن هنا فإن القرآن الكريم هو المصدر الأول الذي استقت منه الحضارة الإسلامية في كافة مجالاتها وأصولها ومقوماتها وخصائصها (أديب الصالح، 2002، صفحة 118).

جاءنا الوحي الذي بلّغه الرسول صلى الله عليه وسلم كاملاً غير منقوص لم يتغير أو يتبدل وهو بذلك يتميز على كتب الديانات الأخرى التي تناولتها أيدي الكتاب والمؤلفين

والمترجمين بالحذف والإضافة والتعديل والتحريف. وتنفرد الحضارة الإسلامية بين كل الحضارات باستقاء نظمها وتشريعاتها وقوانينها (صالحي، 2023، صفحة 110).

وقد طبق المسلمون نظريات القرآن الكريم في الحكم والسياسة كما طبقوها فيما يتعلق بالإدارة وتنظيمها وانتقلت هذه الأسس وتلك القوانين والنظريات لينتقل التطبيق الإسلامي إلى خارج شبه الجزيرة العربية، لتتأكد صلاحية تلك النظم والقوانين لكل زمان ومكان.

ثانيا: السنة النبوية الصحيحة

القرآن الكريم هو الأصل والمصدر الأول ثم جاءت السنة النبوية الشريفة لتشرحه وتوضح ما يصعب على المسلمين فهمه فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم إمام المسلمين وقاضيهم وقائدهم ومعلمهم ومربيهم، ولقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين أمور دينهم ودنياهم وكانت أقواله وأفعاله تطبيقا عمليا، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان قدوة للمسلمين، وعلى سنته سار المسلمون الأوائل وتبعهم التابعون والمسلمون من بعدهم. ولقد كان صلى الله عليه وسلم في بيته الأب الرحيم والزوج المدلِل علّم أهل بيته آداب الدنيا وطبقوها كما ينبغي لهم أن يفعلوا. (صالحي، 2023، صفحة 111).

وكما يعتبر الفقهاء السنة النبوية مصدرًا أصليًا من مصادر التشريع فإن المؤرخين يتخذونها مصدرا أوليا من مصادر الحضارة الإسلامية، فقد أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الدولة الإسلامية في المدينة واضعا اللبنة الأولى لنظم الحكم والإدارة والاقتصاد والجهاد في سبيل الله انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة عام 1 هـ/ 622م ليؤسس الدولة الإسلامية وليتخذ منه عاصمة لدولته في شبه الجزيرة العربية، ومن هنا كانت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم المركز الأول للحضارة الإسلامية، ففيها تعلموا دقائق العقيدة وتفصيلاتها، كما تعلموا أصول الحكم والسياسة (الفاروقي. 1998، صفحة111).

وسار الخلفاء الراشدون على النهج الذي رسمه الرسول صلى الله عليه وسلم، طبقوا القوانين والأحكام التي احتواها كتاب الله وأحيوا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ليعمقوا المفاهيم والقيم الإسلامية ولمواجهة مطالب الأمة الإسلامية.

ومع انتشار الإسلام مع حركة الفتوحات دخلت عناصر بشرية جديدة أسهمت في إثراء الحضارة الإسلامية وساعدت في تطورها، وسواء كانت هذه العناصر شرقية أو غربية أو افريقية أو آسيوية، فقد ظلت الحضارة الإسلامية حافظة لأصولها الأولى ميزتها عن غيرها من حضارات الدنيا، والحضارة الإسلامية بنظمها التي نشأت وتطورت في كنفها لم تكن حضارة متعالية متغطرسة على غيرها من الحضارات حيث اقتبس المسلمون ما وجدوه ملائما ونافعا لهم وطوروا ما عرفوه من نظم وأساليب حياتية في البلاد المفتوحة وهم في ذلك الوقت أفسحوا المجال للمسلمين جميعًا لكي يضيفوا في تلك الحضارة، كما أنهم أعطوا فرصة لغير المسلمين في الإسهام معهم، فكان الأطباء من والمترجمون والكثيرون ممن عملوا جنبًا إلى جنب مع علماء المسلمين و حظوا بالتقدير من حكام المسلمين وخلفائهم(علي ماهر، 2007. صفحة 94).

ويضع الجراح الفرنسي المعاصر موريس بوكاي الحديث النبوي في مرتبة (الأناجيل) من ناحية أنها تنسب إلى رواة ينسبونها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومن ناحية أنها مثل الأناجيل – وعكس القرآن – في التأخر الذي لحق بتدوينها.

لكن الذي لم يدركه (بوكاي) أن منهج الفحص العلمي الذي خضع له الحديث ولا سيما في السند (الرواية) منهج يفوق بمراحل كثيرة المنهج الذي اعتمد في تدوين وتمحيص الأناجيل ... فالأحاديث أوثق من الأناجيل، على الأقل لأن الحديث قد دون بعضه أيام الرسول مثل صحيفة المصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص (الكافي، 2021، صفحة 37).

ثالثا: العقيدة الإسلامية

يقصد بالعقيدة الإسلامية الإيمان أي التصديق الجازم بالله وبوحدانيته وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره وبكل ما جاءت به النصوص من أمور الغيب وأخباره) والبعث والحساب والجنة والنار (مع التسليم له – تعالى– في الحكم والأمر والقدر والشرع....، وللرسول بالطاعة والتحكيم

والإتّباع في كل ما أمر به أو نهى عنه عليه الصلاة والسلام... إتّباعا بالقلب والقول والعمل). (الكافي 2021، صفحة 39).

وتتلخص عقيدة المسلم الإيمانية في مبادئ بسيطة واضحة لا غموض فيها ولا التواء وهي:

1- لا إله إلا الله؛ أي الوحدانية المطلقة المنزهة عن كل مظاهر الشرك.

2- محمد رسول الله وخاتم النبيين.

3- الاعتقاد في نبوة كل من ورد ذكرهم في القرآن من الأنبياء والمرسلين وفي نبوة غيرهم ممن لم يرد ذكرهم وصحت نبوتهم، أو بتعبير وجيز (الإيمان بمبدأ الوحي والنبوة) من ناحيتي القوة (الإمكان)والفعل (الوجود).

4- الإيمان بالكتب السماوية من ناحية أصل التنزيل ونبذ ما حرف منها؛ مما لا يستقيم مع منطق العقل وقيم الدين وشرف الأنبياء وتنزيه الله سبحانه وتعالى.

5- الإيمان بالملائكة على النحو الذي وصفهم الله به في القرآن الكريم، ووصفتهم به السنة النبوية الصحيحة.

6- سادسا: الإيمان بالله الواحد وبالبعث والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار والقضاء والقدر (**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**) "سورة البقرة: الآية 285"

رابعا: الشريعة والأخلاق في الإسلام.. المصدر والغاية

تنبع أهمية الأخلاق في الإسلام من ارتباطها ببناء الشخصية السوية الإنسانية الكريمة، ومن ارتباطها بالعقيدة والشريعة، ومن ضرورتها للسلوك السوي لدى الأفراد والجماعات.

ولعل من أكبر ما يؤكد أهمية الأخلاق أن الله مدح نبيه بها في قوله تعالى: " **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** " (القلم: 04).

ولم يمدحه بصفات جزئية أو بصورة ظاهرية، كما أن الرسول جعل جوهر بعثته إتمام حسن الأخلاق فقال: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُمَّمَ حُسنَ الأَخْلاقِ ". وقال أيضا: " إِنَّ الله لا يَنظُرُ إِلى أَجْسامِكُم، وَلا إلى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ ". وتقوم الأخلاق في الإسلام على الدين

والإيمان بالله، فبدون إيمان حقيقي تصدر عنه الأخلاق تصبح الأخلاق (مصلحية) أو (دنيوية) لا قيمة لها، حتى ولو كان ظاهرها طيبا، لكنها تفقد النية.... ولعل البعد الديني الإيماني (في صلته بالأخلاق يتضح في قول الرسول: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت ". (الكافي، 2021، صفحة 47).

خامسا: اللّغة العربية وآدابها من مصادر الحضارة الإسلامية.

لم يعد ثمّة شك ... عند الموضوعيين والمحلّلين بعمق – أنّ اللّغة العربية لغة متفرّدة من بين لغات العالم فلا تدانيها لغة أخرى في أصالتها ومرونتها وقدرتها وثرائها.

إن العربية لغة دولية علمية دينية دنيوية... يتكلم بها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، ويعبرون بها عن أحاسيسهم وآدابهم، ويتعلمون بها معارف غيرهم، ويدونون بها أفكارهم وعلومهم، وهي أداة سليمة ودقيقة للتعبير العلمي والفني وقد كان من عبقريتها – يوم كان لها رجال – أنها استوعبت الحضارة الإنسانية والإسلامية وقام علماؤها بترجمة معارف البشرية إليها من اليونان والهنود وغيرهم وعنها نقلت الحضارات والثقافات الإنسانية والإسلامية إلى الشعوب الأخرى، ومنها الشعوب الأوربية : فترجم ما حوته العربية من علم ومعرفة وثقافة وآداب إلى العالم كله. (الكافي، 2021، صفحة 51/ الفاروقي، 1998، صفحة 77).

سادسا: المصادر المكتوبة

المصادر المكتوبة كثيرة ومتنوعة منها الكتب المدونة والوثائق الرسمية التي تحويها الأرشيفات الرسمية والرسائل المتبادلة بين الأمراء والحكام والخلفاء، والاتفاقات والمعاهدات.

وتعد المصادر المكتوبة وخاصة الوثائق والمعاهدات والاتفاقات من الأصول الأولى لدراسة الجوانب الاقتصادية والإدارية في الحضارة الإسلامية إلا أن بعض هذه المصادر قليلة ونادرة ضاع معظمها وفقد خلال الفترات التاريخية المتعاقبة التي تعرضت فيها الدولة الإسلامية لمحن خطيرة مثل غزو المغول لبغداد أو حريق الفسطاط حين طغت المصلحة الشخصية على واجب الأمّة والجماعة (ربوح، 2015، ع 13، صفحة 108)، والمصادر المكتوبة فكر

المسلمين في عصوره المختلفة، فلم يتركوا مجالاً من مجالات العلم إلا طرقوه وألفوا فيه وقدموا دراسات وافية تعد من الأصول الهامة للعلوم والمعرفة الإنسانية ، كتبوا في الفقه والتفسير واللغة، كما ألفوا في العلوم والكيمياء والطب والشعر والنثر والجغرافيا ، وجادلوا وعارضوا و ردوا الشبهات عن الإسلام، كما سجلوا الأحداث و دونوا الأخبار. (صالحي، 2023، صفحة 112).

سابعا: المصادر الأثرية

وتشمل كل ما ترك المسلمون من آثار تتمثل في مساجدهم ومكتباتهم وخاناتهم وربطهم ومدنهم وأسوارها وقلاعها والعملة على اختلاف أنواعها، والطرز والأسلحة بكافة أشكالها ومختلف أنواعها إلى غير ذلك مما تحفل به الدنيا من آثار تركها المسلمون. (النبراوي 2019، صفحة 41).

وتعتبر الآثار الإسلامية من المصادر المعينة لدراسة الحضارة الإسلامية، وللمسلمين آثار مبنية تنتشر في أرجاء الدنيا. والمسجد هو نقطة البدء في دراسة الآثار، فهو المصدر الذي استقت منه العمارة الإسلامية أصولها، ومن المسجد امتد العمران لتقام العواصم الإسلامية بمنشآتها ومؤسساتها المتلفة، وتعكس العمارة الإسلامية مستويات حضارية مختلفة تعبّر عن العصور التي تمثلها. ومن الآثار الهامة لدراسة الحضارة الإسلامية كذلك تتصدر المدن التي شيّدها المسلمون بطرزها المعمارية الملفتة سواء ما أقيم منها كمدينة أو ما تحول منها بإقامة المساجد فيها إلى مدن إسلامية بعد الفتح، ذلك أن المدن بأسوارها وقلاعها ومكتباتها وأسواقها وحماماتها وفنادقها وحدائقها تعين على فهم المستويات الحضارية المتدرّجة المرتبطة بالعصور التاريخية المتعاقبة تقدمًا وانحطاطا. (صالحي، 2023، صفحة 112/ عثمان، 1988، صفحة 58).

والعملة والمسكوكات والنقود من المصادر الأثرية الأصلية في دراسة نظم وحضارة الإسلام، والعملة تعكس المستوى الاقتصادي للدولة التي أصدرتها وللعصر الذي تمثله كما أن الكتابات المضروبة عليها ألقاب الملوك والخلفاء والسلاطين وتاريخ إصدارها، وتعين على

تصحيح بعض المعلومات الخاطئة أو تأكيد الصحيح منها، كما تبين مدى التوسع الاقتصادي والانتشار التجاري من عصر إلى عصر (رمضان، 2008، صفحة 42). ولقد عرف المسلمون العملة و النقود منذ عصر الخلفاء الراشدين، وكان العصر الأموي هو العصر الذي شهد تعريب الدواوين الإسلامية و ذلك في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان الذي ضرب عملة عربية كانت من الفضة الخالصة سنة، ولما ضربها عبد الملك أمر بالرسم علها، فنقش عليها "قل هو الله أحد" فسميت الدراهم الأحدية، وكان الناس قبل ذلك يتعاملون بدراهم الفرس والروم. (النبراوي، 2019، صفحة 41).

وإصدار العملة الإسلامية يوضح مدى حرص الدولة الإسلامية على استقلال اقتصادها، ويمكن للدارس أن يستنبط من دراسة العملة والمسكوكات استقلال الإقليم أو تبعيته كما يستطيع أن يرسم الملامح الاقتصادية للعصر الذي تمثّله هذه العملة أو تلك.

المحاضرة الرابعة:

الحواضر الإسلامية الكبرى في المشرق والمغرب والأندلس

الهدف من الدرس:

بعد إنهاء هذا الدرس، سيتمكن الطلبة من التعرف على أهم الحواضر التي ساهمت الحضارة الإسلامية في بنائها، زما قدمته من مساهمات في ازدهار الحضارة الإسلامية من خلال المدارس والجامعات والمكتبات الإسلامية الفريدة، وكذا المراكز التجارية المهمة والتنوع الثقافي الذي شجع العلماء والأدباء والصنّاع على الإبداع والاختراع والتأليف والإنتاج بما انعكس على تطوير الحركة العلمية والتجارية والصناعية.

أولا: روافد الحضارة الإسلامية

الحضارة الإسلامية إضافة إلى ما تملكه من مقومات ذاتية في بناء حضارتها غير أنها لم تحجب عن نفسها ما يمكن أن يزيد في تطورها فمما لا شك فيه، أن الحضارة الإسلامية كان لها روافد ساهمت في تطورها، ونموها ومن تلك الروافد ما اقتبسته من الحضارات القديمة من علوم ومعارف، وما ظهر عليها من تأثيرات خارجية يمكن تلخيصها فيما يلي:

- التأثير الفارسي:

كان التأثير الفارسي في الحضارة الإسلامية أقوى في مجال الأدب، حيث كان الأدب الفارسي الشرقي أقرب إلى ذوق العرب وأحاسيسهم من الأدب اليوناني، وأيضا في مجال العلوم كالهندسة والفلك والجغرافيا لكن تأثير اليونان في العلوم العقلية كان أقوى من تأثير الفرس (صالحي، 2023، صفحة 113)..

- التأثير اليوناني:

كانت الحضارة اليونانية ذات تأثير بارز وقوي في العلوم العقلية، فنقل المسلمون عنهم في مجال الفلسفة، عن أفلاطون وأرسطو بل احتل أرسطو مكانة بارزة لدى فلاسفة الإسلام (ابن سينا، ابن رشد)، وقد أخذ المسلمون من التراث اليوناني ما يتوافق مع الإسلام ونبذوا ما يتعارض معه (نعمان،1996صفحة 67).

- التأثير الهندي:

من العلوم التي أخذ فيها المسلمون عن الهنود: الرياضيات والفلك والطب.

وقد اتسمت الحضارة الإسلامية بسعة الأفق واستيعاب الحضارات البائدة المختلفة وتطويرها بما يفيد البشرية كافة. وإذا كان المسلمون أخذوا عن الحضارات السابقة بعض العلوم فإنّ هذا لا يقلل من شأنها، لأن الترجمة كانت مرحلة من مراحل الابتكار العلمي الإسلامي (حسين كريم حميدي، 2019، صفحة 267...258) هذه المراحل هي: النقل والترجمة – الشرح والتفسير – النقد والتصحيح الإضافة والابتكار.

ثانيا: الحواضر الإسلامية الكبرى في المشرق والمغرب والأندلس

_ في المشرق الإسلامي:

1- سمرقند:

أصل كلمة سَمَرْقَنُد هو "شمر" أبو كرب" ثم حرفت إلى "شمر كنت" ثم سَمَرْقْنَدْ (وجه الأرض). ثاني كبريات مدن أوزباكستان. (أحمد المنياوي 2010 ص 220)، تعتبر مركزا تعليميا هاما تقع مكان ماراكاندا" القديمة التي دمرها الإسكندر المقدوني (329 ق.م). وفتحها المسلمون في القرن 08 م على يد القائد الأموي قتيبة بن مسلم. (المنجد في اللّغة والأعلام، 1984، ص 278)، دمرها جنكيز خان (1229 م) بعد ذلك وأفل وميضها. مرزوقي، 2022، صفحة 7).

2- بخارى:

مدينة قديمة أوزباكستان فتحها المسلمون بقيادة قتيبة بن مسلم (87هـ) في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي. يقول عنها الإمام القزويني: "كانت دائما مجمع الفقهاء وموطن الفضلاء ومنشأ علوم النظر، وأكثر سكانها ينحدرون من نسل عمر بن عبد العزيز، وقد توارثوا تربية العلم والعلماء كابرا عن كابر، ولم تُر مدينة كان أهلها أشد احتراما لأهل العلم من مدينة بخارى، ينتمي إليها إمام المحدثين صاحب الجامع الصحيح الإمام البخاري، وابن سينا صاحب الفكر الموسوعي الشهير وغيرهما. (الحموي، 1995، ج1، صفحة 354./ مرزوقي، 2022، صفحة 7).

3- دلهي:

مدينة في الهند قديمة العهد احتلها المسلمون في القرن 12م وجعلوا منها عاصمة سلطنة دلهي، دمرها تيمورلنك (1398 م). أعاد شاه جهان بناءها (1639م) وجعل منها عاصمة إمبراطوريته، احتلها الإيرانيون(1739م) ثم الأفغان (1756م) ثم الإنجليز. عاصمة الهند من سنة 1911م حتى بناء نيودلهي بالقرب منها سنة 1930م. (مرزوقي، 2022، صفحة 7).

4- همدان:

مدينة تاريخية قديمة ومن أهم مدن الإسلام في إيران. فتحها المسلمون (23 هـ) في عهد عمر بن الخطاب بقيادة المغيرة بن شعبة وقيل جرير بن عبد الله البجلي. وكانت قبل الإسلام تسعى "إكباتانا" في عصر الميديين الذين اتخذوا منها عاصمة لدولتهم، ثم سقطت في يد الدولة الساسانية (أبو عبيد البكري، 1403هـ ج5، صفحة 114)، وإلى هَمَذَان ينتسب بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات الأدبية المعروفة، وابن خالويه الإمام النحوي اللّغوي والمقرئ والمفسر ... وغيرهما.

5. نيسابور:

مدينة إيرانية قديمة تقع ناحية الشمال الشرقي للبلاد كانت في القديم، عاصمة خراسان (منطقة إيرانية جنوب شرق بحر قزوين)، فتحها المسلمون (31هـ) زمن عثمان بن عفان. وقيل في أيام عمر بن الخطاب على يد الأحنف بن قيس ينتمي إليها رجال من أهل العلم والفقه منهم الإمام مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح في الحديث، والشاعر والرياضي والفيلسوف عمر الخيام والجوهري النيسابوري صاحب كتاب صحاح الفقه، والميداني صاحب كتاب مجمع الأمثال (الحموي، 1995، ج5، صفحة 331. / مرزوقي،2022، صفحة 8).

6- بغداد:

عاش السكان فيما يعرف الآن باسم منطقة بغداد منذ حوالي سنة 4000 ق.م. وشكلت جزء من بابل القديمة، ومن القرن 5 ق.م إلى القرن 7 م سيطر الفرس والإغريق والرومان على المنطقة. كانت بغداد قرية صغيرة سنة 752 م عندما أنشأ أبو جعفر المنصور المراكز الرئيسية للخلافة العباسية قريبا منها عام 762م، ووصلت بغداد إلى عصرها الذهبي زمن الخليفة هارون الرشيد وصارت مركزا عالميا للعلم والثقافة. في عام 1258م دمر المغول بقيادة هولاكو ومن بعده تيمورلنك معظم بغداد (ابن بطوطة، 2020 صفحة 242)، وسيطر المغول والفرس ثم الأتراك على بغداد (1638 م)، عندما أصبحت جزءا من الدولة العثمانية.

7- البصرة:

مدينة قديمة جنوبي العراق بالقرب من التقاء نهري دجلة والفرات شيدها عتبة بن غزوان في عهد عمر ابن الخطاب (14 هـ). وكان قصد عمر ابن الخطاب أن يتخذ للمسلمين مدينة يُشتون فيها ويستريحون من غزواتهم في بلاد فارس. وقيل أنّ سبب تسميتها بالبصرة: هو أن عُتبة بن غزوان كتب إلى الخليفة عمر يستأذنه في تمصيرها ووصفها له بقوله: " أرى أرضا كثيرة الفضة (صغار الحصى) في طرف البر إلى الرّيف ودونها منافع فيها ماء وفيها قصباء". فقال عمر: هذه أرض بصرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب". ومعنى البصرة في اللّغة العربية الأرض (ابن حوقل، 1938م، ج1 صفحة 91).

8- الكوفة:

مدينة قديمة في العراق، كانت أول عاصمة إسلامية بعد خروج الخلافة من المدينة المنورة في عهد على ابن أبي طالب. اختط المدينة وأسسها سعد بن أبي وقاص (17 هـ)، وكان المسلمون قد شادوا البصرة قبلها (ابن حوقل، 1938م، ج1 صفحة 159).. ظلت الكوفة مركزا من مراكز الثقافة في كافة فروع العلم في القرنين الثاني والثالث الهجريين نشطت الحركة الفكرية في الكوفة جنبا إلى جنب مع البصرة، فكانت ملتقى علماء اللغة والنحو وإحدى مدرستين أو مذهبين في هذا المجال عرفت بمدرسة الكوفة. وكانت من المدن التي اتخذتها الدولة الإسلامية مراكز جديدة تقيم فيها حاميات عسكرية لحماية حدود الدولة.

9- دمشق:

تدعى "الشام" أيضا تقع على ملتقى الطرق العسكرية والسبل التجارية القديمة، وقد ورد ذكرها في الكتابات الفرعونية والأشورية والكتاب المقدس. سكنها الآراميون وجعلوها عاصمة لمملكتهم (40ق.م) خضعت للاحتلال الأشوري والبابلي والفارسي واليوناني والروماني فتحها المسلمون (635م)، وجعلها الأمويون عاصمة لهم فعرفت عصرها الذهبي، تقهقرت زمن العباسيين حكمها الطولونيون والإخشيديون والفاطميون (الحموي، 1995، ج2، صفحة 468).

حصّنها "نور الدين زنكي" في وجه الصليبيين. خربها المغول (1260م ثم 1300م). أحرقها تيمورلنك (1400م). ودخلها السلطان العثماني سليم الأول.

10- الفسطاط:

عاصمة الديار المصرية القديمة يوم أن فتحها عمرو بن العاص زمن عمر بن الخطاب. تقع بين النيل وجبل المقطم (أحمد المنياوي: 2010 ص 232). وهي اليوم إحدى أحياء مدينة القاهرة بها جامع عمرو بن العاص الذي صار من أكبر جوامع مصر.

11- القاهرة:

بنيت القاهرة الحديثة قرب موقع مدينة ممفيس أول عاصمة لمصر القديمة. وعندما دخل العرب مصر (642م)، أقام الجيش العربي معسكرا بها جنوبي موقع القاهرة الحالي، حيث شيدوا العديد من المساكن والمساجد أولها وأكبرها مسجد عمرو بن العاص، إضافة إلى الدور والقصور وهي النطاق العمراني الذي عرف بمدينة الفسطاط أول عاصمة إسلامية لمصر وعندما سيطر الفاطميون على مصر (969 م)، بنى القائد "جوهر الصقلي" القاهرة شمالي أول موقع استقر فيه العرب وهو الفسطاط لتكون عاصمة البلاد حيث قام الفاطميون بتشييد الجامع الأزهر الشريف (ابن جبير الأندلسي، 1908، صفحة 25)، الذي بات أمل الراغبين في دراسة العلوم الإسلامية من كافة دول العالم الإسلامي. ووسع صلاح الدين الأيوبي، مؤسس الدولة الأيوبية في مصر (1171م- 1250م)، من النطاق العمراني للقاهرة، وشاد قلعته "قلعة صلاح الدين الأيوبي".

- في المغرب الإسلامي:

1- القيروان:

أولى المدن الإسلامية التي شيدت في المغرب الإسلامي منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا (50هـ/ 670 م) حين اختارها عقبة ابن نافع مكانا استراتيجيا بعيدا عن الشواطئ التي يهددها البيزنطيون وبعيدا عن الجبال التي يتحصّن بها البربر. وقد أرادها عقبة أن تكون قاعدة أعماله الحربية ومخزنا لمؤنه ومعسكرا لجند الإسلام ومن هنا كانت تسمية القيروان وهي معربة من "كاراوان" الفارسية وتعني المعسكر (فكري، مصر 1936، صفحة 4...9).

أصبحت القيروان عاصمة الأغالبة فازدهر العلم والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية واستحدثوا معاهد علم أشهرها بيت الحكمة، وكذا المرصد الفلكي الذي بناه المأمون وشيدوا أعظم معالمها التي تعد مفخرة القيروان من ذلك الفسقية الأغلبية (حوض مائي كبير)، وبئر بَروطة (ناعورة مائية يديرها جمل موقوف على البئر وهو معصوب العينتين مخافة الدوار أو الزوار) تضم القيروان كثيرا من الآثار أهمها : رقادة (مدينة) الأغالبة الثانية التي أصبحت قرية أثرية استغل أحد قصورها ليكون معهدا للدراسات الإسلامية (مرزوقي، 2022، صفحة 12).

2- تلمسان:

من أعرق المدن الجزائرية التي شيدت في العهد الإسلامي لتكون مقرا للعرب في بلاد المغرب ومركزا للإشعاع الإسلامي ومنارا للفكر والعلم. وتشكل تلمسان متحفا أثريا مفتوحا يزخر بتراث أثري مهم تنامى عبر مسار تاريخها الطويل. عرفت بفضل موقعها الاستراتيجي، نشأة حضارات تعود إلى العصر الحجري، وقبل أن تتهيأ تلمسان لدورها المهم في تقدم العمران وانتشار الحضارة العربية الإسلامية، كانت في عهدها الأول تجمعا سكانيا اتخذه الرومان مستعمرة ومركزا عسكريا لحراسة طرق القوافل التجارية والعسكرية وأسموها "بوماريا" أي مدينة البساتين. عندما جاءت طلائع الفتح الإسلامي أصبح اسمها "أغادير" ومعناها المدينة

المحصنة. وسيطر المرابطون (1081م – 1144م) على "أغادير" وأسسوا فيها "المسجد الكبير".

وقد عاشت تلمسان عصرها الذهبي في ظل الحضارة العربية الإسلامية، فكانت مركز العلوم الفقهية والكلامية ومدينة زاخرة بالفكر والعمران وسوقا تجارية متميزة حتى سماها المؤرخون "غرناطة" "إفريقيا" و"جوهرة" (شاوش، 2011 صفحة 29)، المغرب تدهورت زمن العثمانيين ثم احتلها الفرنسيون (1836م)، فخربوا العديد من آثارها.

3- مراكش:

واحدة من العواصم القديمة للمغرب الأقصى. أسست سنة 452 هـ / 1062 م)، بأمر من السلطان "يوسف بن تاشفين" سلطان المرابطين بطل معركة الزلاقة في الأندلس. وقد بلغت مراكش ذروة عزها في القرن الخامس عشر الميلادي ثم تدهورت بشدة في العصور اللاحقة لا تزال تحتفظ بأسوارها التي تطوق المدينة القديمة، كما تشتهر مبانيها الأثرية بقصورها ومساجدها خاصة جامع أو مئذنة "الكتبية". وتشتهر مراكش بمدافن الملوك السعديين الذين كانوا قد جعلوها عاصمة لهم في القرن 16م. (المنجد في اللغة 1984 ص 192) (مرزوقي، 2022، صفحة 12).

4- فاس:

تشتهر فاس بكونها مركزا دينيا وثقافيا بالمغرب وواحدة من عواصمه القديمة. وقد ظلت عاصمة للبلاد قرونا حتى عام 1331هـ (1912 م). بهذه المدينة مسجد "مولاي إدريس" وبه ضريحه، وتتباهى أيضا بجامعة (جامع) القرويين التي أنشئت عام 245هـ / 859م) وتعد واحدة من أعرق جامعات العالم.

- في الأندلس الإسلامية:

1- غرناطة: Granada

مدينة في الجنوب الشرقي من اسبانيا فيها قصر وقلعة الحمراء (رائعة الأندلس) (مكون من ثلاثة عشر برجا مميزا وساحة الأسود والنافورة الساحرة شيّد المسلمون غرناطة في سنة 750م. وقد كانت مركزا حضاريا كبيرا ومعقلا للتراث والثقافة الإسلامية احتلها المرابطون (1090م)، ثم صارت في سنة 1238 م في عصر سلالة بني الأحمر) مملكة مستقلة واتخذها محمد بن نصر مؤسس هذه السلالة عاصمة له فاستمرت قاعدة هذه الدولة ومركزا حضاريا وثقافيا لامعا لغابة سقوطها. علما بأنها كانت في عام 897 هـ 1492م)، آخر المعاقل الإسلامية في أوروبا.

2- طليطلة: Toledo

مدينة اسبانية تقع على هضبة عالية تبعد 65 كم جنوب غربي مدريد بها كثير من المباني التاريخية. وقد أعلنت حكومة إسبانيا المدينة برمتها تراثا قوميا. يظهر على الفن المعماري لطليطلة التأثير الإسلامي الكبير نتيجة حضور المسلمين القوي في هذه المدينة التي حكموها حقبة طويلة فقد فتحوها عام 712م (وقيل 714م) عن طريق طارق بن زياد وازدهرت الفنون والعلوم في عهدهم ازدهارا كبيرا، لكن ألفونسو السادس ملك ليون وقشتالة استولى على طليطلة في عام 1085م وجعلها عاصمة له.

3- قرطبة: Cordoue

مدينة أندلسية في اسبانيا أسسها الفينيقيون ثم احتلها الرومان (206 ق.م)، وقد بلغت ذروة أهميتها في القرن 10م حيث كانت مركزا شهيرا للفن والثقافة الأندلسية وعلى أية حال، فقد كانت قرطبة عاصمة الأندلس قبل دخولها من قبل المسلمين، وكان بنو أمية سنة 756م ومن بعدهم قد اتخذوا قرطبة عاصمة للمسلمين في الأندلس. وقد استعادها فرديناند الثالث من المسلمين في عام 1236م، بيد أن آثار المسلمين لا تزال باقية فيها حتى الآن، وأشهرها جامع قرطبة الشهير وقصر الزهراء. ويُشار إلى أنه من قرطبة وصلت علوم الإسلام إلى أوروبا.

4- اشبيلية Seville

واحدة من المدارس الرائدة في الفن الإسباني والأدب والتعليم فتحها المسلمون (94 هـ / 712 م)، فبلغت في ظلهم أوج ازدهارها وكانت مقر إمارة مستقلة تحت حكم بني عباد (1023 – 1091م). ثم ازدهرت مركزا تجاريا وثقافيا أيام دولتي المرابطين (1056–1147م) والموحدين (1130–1269 م). وتميزت اشبيلية بمكانتها في تاريخ العلوم العربية والإسلامية فقد كان لعلمائها إسهام بارز في علوم الدّين واللّغة والفلك والحساب والطب وغيره. ومن أبرزهم علي بن مؤمن المشهور بـ: "ابن عصفور الاشبيلي" وهو حامل لواء العربية في الأندلس؛ ومنهم أيضا أبو بكر محمد خلف الاشبيلي صاحب التصانيف في اللغة والفقه والرعيني الأديب الكاتب صاحب المصنفات في الأدب واللغة وابن خير الاشبيلي صاحب الفهرسة وغيرهم. وابن عبد الحق المشهور بابن الخراط (صالحي، 2023/ مرزوقي، 2022، صفحة 13).

المحاضرة الخامسة:

علوم الطب والصيدلة في الحضارة الإسلامية

الهدف من الدرس:

بعد الانتهاء من هذا الدرس سيتمكن الطلبة من التعرف على مساهمة العلماء العرب في التأسيس لعلم الطب والصيدلة.

- فهم أن الحضارة الإسلامية جمعت بين العلم والمعرفة والأخلاق، ويعمل على خدمة المجتمع والإنسانية.

- عن طريق التركيز على علم الطب والصيدلة.

تمهيد:

إذا كانت التربية الروحية والنفسية والأخلاقية هي طب الأرواح والنفوس، فإن الطب الوقائي والطب العلاجي هما طب الأجساد، وهما التربية البدنية الراعية للجسم، لأنه كما قيل بحق العقل السليم في الجسم السليم.

وتعد مهنة الطب من أشرف المهن التي عرفها الإنسان عبر تاريخه الطويل، ومصدر شرفها، أنها تقوم على تخفيف آلام المتألمين والمكروبين والمرضى، وتهدف إلى حفظ صحة الإنسان، والتغلب على المرض بالعلاج السريع، وتقديم النصائح والإرشادات الطبية للمريض، حتى يتم له الشفاء، وينعم بالصحة والعافية.

أولا: الطب الوقائي والعلاجي في الحضارة الإسلامية

علم الطب من العلوم القديمة قدم الإنسان، وقد شارك في وضع قواعده وصياغة نظرياته أمم شتى في مختلف الأزمان والبلدان وتناقل الناس معارفه من أمة إلى أخرى.

ومن المتفق عليه بين الباحثين في تاريخ العلوم التجريبية أن صناعة الطب كانت تشغل أهمية كبيرة ومساحة بارزة في الحضارات القديمة المصرية والبابلية والصينية والهندية والفارسية واليونانية، كما عرف هذه الصناعة ومارسها عرب الجاهلية. (صالحي، 2023، صفحة 117).

وقد ظهر اهتمام العرب المسلمين بالطب في مرحلة باكرة من تاريخهم، وذلك بتأثير القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على التداوي وتفيد أن الله ما خلق داء إلا وجعل له دواء، إلا الموت. ولقد أشار القرآن الكريم إلى أصول الطب الثلاثة، ومجامع قواعده، فقواعد طبّ الأبدان ثلاثة حفظ الصحة والحميّة من المؤذي واستفراغ المواد الفاسدة.

قال تعالى في آية الصوم: " **أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** "، فأباح الله الفطر للمريض لعذر المرض.

ومن أحاديث النبي المأثورة في علم الطب ما روي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء)، وعنه أنه قال: (تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد) يعني الهرم، أو الشيخوخة.

والحق أن الطب العربي قد ظل بملامحه البسيط، المعتمدة على الأعشاب والنباتات الطبية، وعلى الكي والحجامة وغيرهما من الأساليب البدائية حتى مطلع العصر الأموي الذي شهد بداية معرفة العرب بالمؤلفات اليونانية في الطب، وقد نقلت هذه المؤلفات إلى السريانية أولا، ثم إلى العربية، وروي أن أول من شرع في نقلها هو خالد بن يزيد بن معاوية (ت. 85هـ/ 804م).

وقد كان لـ معاوية (ت 60 هـ / 680م) طبيبان نصرانيان دمشقيان هما: ابن آثال الذي كان على معرفة بالسموم والأدوية... وكان معاوية بن أبي سفيان يستخدمه في التخلص من خصومه، والطبيب الآخر لمعاوية هو: أبو الحكم الدمشقي، وكان طبيبا أمينا ناصحا فاعتمد عليه معاوية في علاج نفسه وأهل بيته، وقد ترك ذرية من الأطباء المعروفين في العصر الأموي. (الكافي، 2021، صفحة 136).

وكان للمرأة العربية نصيب من المشاركة في علم الطب على عهد الأمويين، ويمكن أن نشير في هذا الصدد إلى (زينب الأودية) وهي من طبيبات العصر الأموي البارزات وكانت كاحلة ماهرة بطب العيون.

وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت. 101هـ / 702م) أسلم الطبيب السكندري عبد الملك بن أيجر الكناني على يد الخليفة نفسه الذي صحبه واستطبه، وقد روي سفيان الثوري عن ابن أبجر أنه قال: "المعدة حوض الجسد والعروق تشرع فيه، فما ورد فيها بصحة صدر بصحة، وما ورد فيها بسقم صدر بسقم" (الكافي 2021، صفحة 136).

ولعل مما ساعد على انتشار الترجمة في العصر العباسي هو أن الدولة العباسية كانت تعد العلم والترجمة مظهرين مهمين من مظاهر التقدم الحضاري والثقافي والعمراني للدولة العباسية، إبان قوتها وازدهارها.... وبإنشاء الخليفة المأمون لبيت الحكمة في القرن الثالث

الهجري ظهر مترجمون قديرون مهرة في المصطلحات وفي اللغات العربية واليونانية والسريانية، ولهذا نجحوا في ترجمة جميع كتب أبقراط وجالينوس وشروحها إلى اللغة العربية، حتى بلغ عدد ما ترجم من آثار جالينوس ما يقارب من مائة كتاب بالسريانية، وتسعة وثلاثين كتابا نقلت إلى اللغة العربية، وكذلك ترجمت جميع مؤلفات أبقراط وشروح جالينوس علها، وذكر ابن النديم الكتب الستة عشر لجالينوس التي يقرئها المتطببون أولا وكتبه الأخرى، ويربو. عددها على الخمسين كتابا. وقد ترجمها إلى العربية عدد من المترجمين، وقد عالجت هذه الكتب مختلف فروع علم الطب وعلاج أنواع الأمراض، فاحتلت الكتب الطبية العربية الصدارة في نهاية القرن الثالث وما بعده، وقد نقل الغربيون قسما غير قليل منها إلى اللغة اللاتينية.

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول بأن العلماء العرب قد استوعبوا طب اليونان والفرس والهنود من خلال الترجمة، ثم انتقلوا إلى مرحلة التأليف المستقل، حيث لم يكد عصر الترجمة ينصرم حتى كانت مؤلفات الطب المترجمة عن اليونان والهنود في متناول أطباء المسلمين.

وهذا ما يقرره (هل) في كتابه " الحضارة العربية"، حيث يقول: إذا كان الأطباء الأول في بغداد قد انهمكوا في ترجمة مؤلفات أسلافهم إلى العربية، ولا سيما أعمال أبقراط، فإن الأطباء المتأخرين كالرازي، وعلي بن زين وابن سينا وابن التلميذ وابن ملكا استطاعوا إبعاد جالينوس وأبقراط، وأحلوا محلها كتبهم الخاصة في معاهد الدراسة لمدى قرون طويلة). وقد خطا العرب خطوات واسعة في استعمال العقاقير للتداوي، فهم أول من أنشأوا حوانيت خاصة لبيع الأدوية، وأقدم من أسس مدرسة للصيدلة، وقد ألفوا كثيرا من الرسائل في الصيدلة، كان من أوائلها ما وضعه جابر بن حيان من منجزات علماء العرب والمسلمين في علم الطب والصيدلة.

ثانيا: الصيدلة والعقاقير

عرف العرب أسرار التداوي بالعقاقير الطبّية من نباتية وحيوانية ومعدنية، وأدخلوا في الطبّ استعمال السنا المكي والصندل والمسك وجوز القيء والتمر هندي والحنظل وجوزة الطيب والقرفة، وهم الذين اخترعوا الأشربة والكحول والمستحلبات والخلاصات العطرية ووضعوا كتبا عديدة؛ منها كتاب" الأدوية المفردة " للغافقي، وكتاب "الدرر الساطعة في الأدوية القاطعة " لمحمد بن ابراهيم، واشتهر موسى ابن العازار –طبيب المعز لدين الفاطمي– بتركيب المعاجين والأدوية، وهو مؤلف " شراب الأصول في أمراض الأمعاء والنساء والكلى والمثانة". (بودرواز 2024، صفحة 2).

علم الصيدلة أو (الصيدنة) وقد اشتهر بين العرب بهذا الاسم، والقائم به يعرف بالصيدلي أو الصيدلاني أو الصيدناني)، كما أيضا بعلم المفردات أو العقاقير – جمع عقار – أو الأدوية ، وهذه الأخيرة نقلت للأوربيين باسم "Drogue" . ولدينا كتب متعددة عنه، نستطيع بفضلها أن نقول أنّ علم الصيدلة تقدم على أيدي العرب تقدماً كبيراً. (ماجد، 2010، صفحة 209).

وقد أدخل العرب في الصيدلة تغليف الحبوب، وبرعوا في إيجاد أدوية معينة على الحمل أو مانعة للحمل. وذكروا الحقن والحمولات والمسوحات والضمادات، ووصفوا أقراصا تقطع رائحة العرق من تحت الإبط وتطيب البدن، وركبوا أدوية تنفع أصحاب الأفرجة الحادة، وتطيب رائحة الفم والنكهة وتزيل البخر.

وتقول هونكة مبينة فضل العرب في مجال الطب والصيدلة " إن كل مستشفى مع ما فيه من ترتيبات ومختبر، وكل صيدلية ومستودع أدوية في أيمنا هذه إنما هي في حقيقة الأمر نصب تذكارية للعبقرية العربية".

ولعل من أبرز مأثر العرب الصيدلانية الطبية الكيميائية بخاصة إدخالهم نظام " الحسبة ومراقبة الأدوية" ، إذ أن بعض الصيادلة لم يكونوا مخلصين في أعمالهم فكان قسم منهم لا يكتفي بالغش بل كانوا من الاستهتار بدرجة أنهم يدعون أن لديهم جميع أصناف الأدوية ويعطون لمن طلب منهم أي دواء آخر فأمر المأمون بامتحان أمانة الصيادلة ثم أمر المعتصم

أن يمنح الصيدلي الذي ثبتت أمانته شهادة تجيز له العمل ، ثم أدخلت الصيدلة تحت مراقبة الحسبة ، وانتقل نظام الحسبة إلى أوروبا ، ولا تزال كلمة محتسب تستعمل في اللغة الاسبانية حتى وقتنا الحاضر.

ثالثا: في مجال الطب

1: الالتزام بالمنهج التجريبي: سواء في التأليف والبحث أو عند التطبيق والممارسة العلمية، ويقصد بالمنهج التجريبي في علم الطب مجموعة الطرق والأساليب والقواعد التي اهتدى إليها الأطباء المسلمون والعرب من خلال ممارستهم للمهنة، فلم يكتفوا بالخبرة العملية، وما ورثوه عن الأوائل، وإنما اعتمدوا على التشريح وعلم وظائف الأعضاء، كما استخدموا أسلوب التشخيص، بالإضافة إلى منهج العلة والمعلول واختبار الأدوية. (الكافي، 2021، صفحة 138).

2: الميل إلى التخصص في أحد فروع الطب: فكان من بين الأطباء المسلمين متخصصون في مداواة الأمراض الباطنية ويسمون الطبائعيين ومتخصصون في الجراحة يطلق عليهم " الجرائحيون". ومتخصصون في علاج العظام وتجبيرها يسمون " المجبرين"، وهناك من تخصص في طب العيون وهم " الكحّالون" أو في طب الأسنان أو في طب النساء إلى غير ذلك من فروع التخصص المختلفة.

وفيما يلي إشارة سريعة إلى تخصصين من هذه التخصصات، وهما:

أ- طب العيون: تناول أطباء (بغداد المشرق) أمراض العيون بكل عناية واهتمام حتى قيل: " إنّ طب العيون من اختراع العرب"، حيث بلغ هذا العلم ذروته بجهودهم التي ظلت الحجة الأولى خلال عصور طويلة، فلم يطاولهم في هذا الميدان، لا اليونان من قبلهم ولا اللاتين الذين عاصروهم أو أتوا من بعدهم.

وقد صنف علي بن عيسى الكحال (المتوفي سنة 430هـ / 1039م) كتاب " تذكرة الكحالين"، وهو من أشهر كتب العراقيين التي سطرت في هذا المجال.

ب – طب الجراحة: ويعد الرازي (المتوفي 320هـ / 932م) من أوائل الأطباء المسلمين الذين كتبوا في علم التشريح ومارسوه عن دراية واقتدار و ممن مارس التشريح على الحيوانات الطبيب البغدادي يوحنا بن ما سويه (ت 234هـ / 857م)، فقد قام بتشريح قرد كبير ، وسجل ما توصل إليه من نتائج في كتاب له ، قال عنه : "لم يوضع في الإسلام مثله"، وقد ذكر له ابن أبي أصيبعة من بين كتبه الطبية الكثيرة كتابا يحمل عنوان " التشريح".

ج– بناء البيمارستانات[1] : عنى المسلمون عناية فائقة ببناء (البيمارستانات) لا في بغداد وحدها، ولكن في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، تأسيسا على إيمانهم بأن الرعاية الطبية حق لكل المواطنين، فقاموا بإنشاء البيمارستانات المتنقلة بجانب البيمارستانات الثابتة، وملأوا بها بقاع الإمبراطورية الإسلامية من بغداد شرقا إلى بلاد المغرب والأندلس غربا، كما عمت هذه المستشفيات بلاد الشام ومصر، حتى السجون كان الأطباء يدخلونها لعلاج المرضى فيها.

رابعا: أبرز أعلام الطب والأدوية

وكان الرازي أول من أدخل المركبات الكيميائية في العلاج الطبي حتى إن جورج سارتون بعده الطبيب الكيميائي الأول"، وتنسب إليه كثير من الابتكارات الجديدة في جراحة العيون وفي الولادة وأمراض النساء. ويعد الرازي من رواد الطب الروحاني في الحضارة الإسلامية، حيث قدم من خلال كتابه " الطب الروحاني" محاولة لإصلاح الأخلاق على أسس تربوية ونفسية. ويعتبر كتاب (الحاوي) من أجل كتب الرازي وأعظمها في مجال الطب. (الكافي، 2021، صفحة 139).

ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله (ت 428هـ / 1036م) ، وهو أشهر أطباء العرب على وجه الإطلاق، وأبعدهم أثرا، وقد بلغ من تقدير المعاصرين له أن لقبوه بـ" الشيخ الرئيس"،

[1]– البيمارستان كلمة فارسية الأصل مركبة من مقطعين "بيمار" بمعنى مريض، و"ستان" بمعنى موضع أو دار، يعرف البيمارستان بأنه المكان الذي يعالج فيه المرضى تحت إشراف أطباء مختصين، ويقدم خدمات طبية متكاملة تشمل الدواء والطعام والماء، إضافة إلى الأدوات والخدمات المساعدة.

كما لقب بالمعلم الثاني، تشبها له بأرسطو المعلم الأول. وأهم كتاب لابن سينا في علم الطب هو كتاب " القانون"، ذلك المؤلف العملاق، كما يقول الأستاذ (مبيرهوف) عنه.

أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي – نسبة إلى مدينة الزهراء من ضواحي قرطبة (ت 404 هـ / 1013 م)، ويعد من أشهر الأطباء في عصر الازدهار العلمي الأول بالأندلس، وكان جراحا مبرزا مبتكرا في جراحاته وعملياته الدقيقة، وهو من أطباء الخليفة عبد الرحمن الثالث.

ومن أهم مجهودات أبي القاسم الزهراوي الطبية أنه: (وصف عملية سحق الحصاة في المثانة، وتفتيتها وإخراجها على الخصوص، فعدّت من اختراعات العصر الحاضر على غير وجه حق).

ويعترف العالم (سبر نجل) بأن الزهراوي أول من علم طريقة استئصال الحصى المثانية في النساء عن طريق المهبل، وأول من وصف الاستعداد الخاص في بعض الأجسام للنزيف. ويتجلى من هذا الكتاب أن الزهراوي أول من فرق بين الجراحة وغيرها من المواضيع الطبية وجعل أساسها قائما على التشريح ". والزهراوي هو صاحب الموسوعة الطبية الضخمة " التصريف لمن عجز عن التأليف". ويعرف هذا الكتاب أيضا باسم " الزهراوي" وهو – بحق – مفخرة للأندلسيين وللمسلمين عامة، ولا سيما القسم الخاص منه بعلم الجراحة.

المحاضرة السادسة:

علم الفلك والإسطرلاب في الحضارة الإسلامية

الهدف من الدرس:

بعد إتمام هذا الدرس سيتمكن الطلبة من:

– فهم الكون وتقدير عظمة الخالق – تطوير المعرفة البشرية

– فهم وتحليل احتياجات المجتمع. لذا كان طالب العلم في الحضارة الإسلامية يرى في دراسة الفلك وسيلة للتقرب إلى الله وتطوير ذاته، وخدمة مجتمعه.

تمهيد:

لقد عرفت الحضارات القديمة علم الفلك وارتبط فيها بالتنجيم ومعرفة الغيب، ولكن في الحضارة الإسلامية، تلك الحضارة التي نبذت التنجيم واعتبرته مخالفًا لعقيدتها انفصل علم الفلك عن التنجيم، وأصبحت له قواعده العلمية التي يرتكز علما، ولم يكن هذا الانفصال وليد الصدفة، بل وليد التجربة العلمية والقياس والاستنباط، والحاجة الإسلامية لتحديد مواعيد الصلاة واتجاه القبلة، حتى أصبحت المساجد الجامعة لا تخلو من فلكي يقوم بتحديد الوقت من خلال واحدة من الآلات الفلكية التي عرفها وابتكرها المسلمون.

أولا: علم الفلك في الحضارة الإسلامية

الفلك في اللغة العربية " مدار النجوم واستدارة السماء"، واصطلاحا هو " علم يبحث في النجوم ومدارها في السماء، وفي الكواكب وحركاتها ومواقعها وأسباب تغير مظاهرها وأمكنتها، ولقد ورث العرب نزعة قوية إلى علم الفلك لأنهم عاشوا تحت سماء صافية، وقد أخذ العرب عن اليونان وأضافوا إليه اكتشافات كثيرة، إذ أن أكثر من نصف النجوم المعروفة تحمل أسماء عربية حتى في الكتب الأوروبية نفسها.

لقد امتاز العرب بمهارة فائقة في علم الفلك فقد لاحظ الفلكيون العرب التغيرات في الظواهر الطبيعية والتي قالت عنها التحقيقات القديمة بأنها ثابتة غير متغيرة فاتضح للعرب عكس ذلك ، كما تميز العرب بمهارتهم في اختراع ساعات الشمس وأعطوها شكلا دائريا يتوسطه محور ظاهر وتمكنوا بواسطتها من تحديد موضع الشمس في كل حين ومن تحديد الوقت ثم صنعوا الساعات التي تسير على الماء والزئبق وما الساعة التي أهداها هارون الرشيد إلى القيصر شارلمان عام 807م إلا واحد من اختراعات العرب في هذا المجال ولا يفوتنا أن نذكر في هذا المجال العالم العربي (الزرقالي) في طليطلة وأعماله الفلكية التي نقلها إلى أوروبا وهو الذي اخترع الأسطرلاب .

ويظهر فضل العرب في مجال علم الفلك في نقل العرب الكتب الفلكية عن اليونان والفرس والهنود والكلدان والسريان وصححوا بعض أخطائها وتوسعوا فيها، وأخذها الأوروبيون

من اللغة العربية. وأضاف العرب إضافات مهمة واكتشافات جليلة تقدمت بعلم الفلك تقدما ملحوظا، فأنشأت الأرصاد وتنوعت آلات الرصد وظهر الفلكيون مثل الخوارزمي والبتاني والبوزجاني الذي اكتشف بعض أنواع الخلل في حركة القمر كما صنع العرب الأسطرلاب، كما جعل العرب علم الفلك استقرائيا ولم يقفوا فيه عند النظريات، والأهم أن العرب طهروا علم الفلك من التنجيم، ولا غرابة تبديل اسم علم النجوم والتنجيم بعلم الفلك.

ولقد ترجم في زمن الأمويين أول كتاب في علم الفلك والنجوم من اليونانية إلى العربية، ويعد أبو جعفر المنصور العباسي أول من عني بعلم الفلك وقرب المنجمين منه، ويعد الخليفة المأمون من الأوائل علماء العرب، حيث أمر بتعريب الكتب الفلكية.

ثانيا: الأسطرلاب في الحضارة الإسلامية

وقد اخترع العرب آلات الرصد اللاّزمة للفلك ووصفوها، وهي اللّبنة، ذات الحلق، السمت والأرفاع، الأسطرلاب.

اسمها الأسطرلاب أو الأسطرلاب Astrolabium الذي قد اخترعه الاغريق، وهي كلمة يونانية معناها ميزان النجم أو مرآة النجم، وأن أدخل العرب علها بعض التحسينات فكانت هذه الآلة لا تقتصر فقط على رصد الكواكب والنجوم، وإنما استخدمت كذلك في تحديد أبعاد الأجسام، ومن كان ينبغ في صنعها أو استعمالها يعرف بالأسطرلابي. وعرفوا منها أنواعا أشهرها السطحي أو المسطح، وهو الذي سموه ذات الصفائح ويتكون من كرمي وقطب وصفيحة وحجرة وحلقة وعرفوا الأسطرلاب الكرى.

كذلك عرفت آلة أخرى باسم ذات الحلق، وهي يونانية الأصل – يبدو أنها تتكون من حلقات نحاسية، أول ما صنعت في أيام المأمون. كما عرفوا الصفيحة الزرقالية – وهو أسطرلاب جديد به الكثير من التحسينات – نسبة إلى الزرقلي مخترعها. وكان أشهر المراصد هو مرصد الخليفة المأمون العباسي، الذي بني في دمشق، ومرصد عضد الدولة البويهي في بغداد، والمرصد الذي أنشأه الفاطميون أيام الحاكم، وفي أيام الوزير الأفضل على جبل المقطم، والمرصد الذي أنشأه هولاكو (هولاجو) في مراغة بأذربيجان (ماجد، 2012، صفحة 192).

الأسطرلاب: لقد اهتم العرب اهتماما بالغا بالآلات الفلكية وما ورثوه عن اليونان كان بدائيا وأعجز من أن يساندهم في سباقهم نحو الاتجاه الذي رسموه لأنفسهم فكان أن طوروها وزادوا عليها أشياء عديدة وقدموا اختراعات أخرى تشبه المعجزات مبتكرين بذلك آلات مختلفة للمراقبة والقياسات أخذها الغرب عنهم ومن بينها الأسطرلاب وهي من الآلات التي شاع استعمالها عند العرب بنوعيها المستدير والمسطح وهي الاستعمالات ويمكن بها حساب الوقت وتحديد الاتجاه كاتجاه القبلة. مثلا (بودرواز 2004، صفحة 1).

والأسطرلاب هو آلة فلكية قديمة وأطلق عليه العرب ذات الصفائح وهو نموذج ثنائي البعد للقبة السماوية، وهو يظهر كيف تبدو السماء في مكان محدد عند وقت محدد وقد رسمت السماء على وجه الأسطرلاب بحيث يسهل إيجاد المواضع السماوية عليه. بعض الأسطرلابات صغيرة الحجم وسهلة الحمل وبعضها ضخم يصل قطر بعضها إلى عدة أمتار.

وقد كانت الأسطرلابات حواسيباً فلكية في وقتها، فقد كانت تحل المسائل المتعلقة بأماكن الأجرام السماوية مثل الشمس والنجوم والوقت أيضا وقد كانت ساعات جيب لعلماء الفلك في القرون الوسطى. وقد تمكنوا أيضا من قياس ارتفاع الشمس في السماء، وهذا مكنهم من تقدير الوقت في النهار أو الليل، كما يمكنهم من تحديد وقت بزوغ الشمس أو تكبد النجوم. وقد طبع على ظهر الأسطرلاب جداولاً مبتكرة مكنتهم من هذه الحسابات. ويمكن لهذه الجداول أن تحتوي على معلومات عن منحنيات لتحويل الوقت، ومقومة لتحويل اليوم في الشهر إلى مكان للشمس في دائرة البروج ومقاييس مثلثية وتدريجات ل 360. درجة.

لقد كان تأثير الأوروبيين بالعالم الفلكي" الزرقالي" كبيرا أيضا ، حيث ترجمت أعماله إلى اللاتينية ، كما اهتمت أوروبا بمبتكراته فهو الذي اخترع الصفيحة التي فرضها العالم الأوروبي " راجيومونتانوس" ودخلت إلى ميدان علم الفلك تحت اسم "الأسطرلاب الزرقالي" وفي عام 1504م كتب العالم الفلكي البافاري يعقوب تسيجلر تعليقا على كتب الزرقالي، وفي عام 1534 ظهرت ترجمة لاتينية جديدة تحت عنوان " في علم آلة أبي العلوم الفلكية " للمؤلف يوحنا شونر بعد أن ظهرت قبل ذلك ترجمة أعمال الزرقالي الفلكية على يد جيرارد الكريموني"

، وقد ذكر كوبر نيكوس سنة 1530 اسمي الزرقالي والبتاني في كتابه الشهير الذي قلب النظرية الفلكية وأحدث ثورة في التصورات القديمة.

ثالثا: إسهامات العلماء المسلمين في علم الفلك

من أجل تطوير علم الفلك والتكثيف من الأرصاد الفلكية، تم تشييد مراصد في مختلف أنحاء أرض الإسلام في بغداد ودمشق والقاهرة ونيشابور ومراغة وقرطبة وسمرقند إلخ. وبدأت ترجمة أعمال الحضارات اليونانية والفارسية والهندية والبابلية في عهد هارون الرشيد إبان العصر العباسي. وقد أسس الخليفة المأمون أكاديمية للعلوم في بغداد سُمّيت بيت الحكمة وجهزت هذه المؤسسة العلمية بمرصد. وبعدد كبير من وسائل الرصد وبمكتبة ضخمة وجلب المرصد كبار علماء الفلك في ذلك الوقت منهم يحيى بن أبي منصور والعباس الجوهري وسند بن علي فأنجزت أعمال بحث كثيرة ومرموقة في علم الفلك.

وبعد ملاحظات لا حصر لها، تم تغيير الجداول الفلكية لبطليموس Ptolemy بشكل عميق، وحلت محلها الجداول المأمونية، نسبة إلى الخليفة المأمون. وعاش في ذلك الوقت عالم الفلك موسى بن شاكر وأبناؤه الثلاثة: أحمد (عالم في الميكانيكا) ومحمد (عالم في الفلك) وحسن (عالم في الرياضيات). فقد قام أحمد ومحمد ببناء جهاز على شكل كرة، يشتغل بقوة الماء، حيث تم تمثيل الأبراج ودولاب الأبراج (وهو) رسم تخطيطي دائري يمثل الأبراج). (اولداش، 2022، صفحة 2).

فبمجرد أن يرتفع نجم في السماء، تظهر صورته فوق خط يُمثل الأفق. وعندما يزول النجم تختفي صورته تحت ذلك الخط. وفي وقت لاحق، تم إنجاز المزيد من مثل هذه الكرة الفلكية حيث خضت لعدة تعديلات وتحسينات.

كان الأسطرلاب والمزولة أكثر الأدوات استخداما لدى الفلكيين المسلمين وكان الأسطرلاب باهض الثمن لأنه كان يحدّد الوقت وكان يستخدم للتوجيه. كما أنه يمكن من إجراء القياسات والحسابات الفلكية كانت النسخ من الأسطرلاب المخصصة للتصدير مزيّنة بأحرف

لاتينية. والجدير بالملاحظة أن أوروبا لم تستطع تصنيع الأسطرلاب الخاص بها إلا في القرن الرابع عشر.

ما من شك أن الفلكيين اليونانيين استعملوا المزولة قبل المسلمين ولكن نموذجهم كان بسيطا جدا بل بدائيا. أما علماء الفلك المسلمون فقد ضاعفوا النماذج من المزاول مزولة حائطية مزولة سمت مزولة محمولة، إلخ. كانت الساعة التي قدمها هارون رشيد لملك فرنسا شارلمان تحفة حقيقية. ففي كل ساعة يظهر فارس من باب صغير ويُغلق خلفه مباشرة؛ وفي نهاية دورة كاملة تسقط اثنتا عشرة كرة صغيرة تصدر صوتا موسيقيا عذبا.

رابعا: النظام الفلكي المعتمد أثناء الحضارة الإسلامية

في سوريا، أجرى البتاني (850–929) العديد من التصحيحات والتعديلات على كتاب المجسطي لبطليموس واستخدم البتاني علم المثلثات الكروية في الحسابات الفلكية وأعطى قياسًا بالغ الدقة للسنة الشمسية. كما درس الاختلافات في ذروة الشمس، وحسب بدقة جيدة ميل مسار الشمس ودورة الاعتدال. ثم إنه كتب رسالة في الأدوات الفلكية حيث أعطى وصفا دقيقا لها وشرح كيفية استخدامها. وقد ترجمت أعمال البثاني (وهو معروف في أوروبا باسم Albategnius إلى اللاتينية وكانت يعتبر مرجعا مهما جدا حتى عصرا النهضة.

وقام عالم الفلك ابن يونس بأوّل ملاحظة دقيقة لكسوف الشمس وخسوف القمر في القاهرة، ودرس اقتران الكواكب، وأظهر التباين في حركة القمر ومن جهة أخرى اخترع ابن يونس النواس قبل جاليليو بقرون، واستخدمه في قياس الوقت خلال ملاحظاته الفلكية. (اولداش، 2022، صفحة 3).

في عام 973مولد في خوارزم (تركستان) أبو الريحان البيروني كان البيروني يمثل موسوعة حية حيث أتى به فضوله إلى احتضان تقريبا جميع فروع المعرفة في ذلك الوقت الرياضيات والطب والأدب والتاريخ وعلم الفلك والفلسفة والجغرافيا والفيزياء فكان يتقن عدة لغات من بينها العربية والفارسية واليونانية والسنسكريتية وهي من أهم اللغات الهندية. وأما في الجغرافيا فأجرى البيروني قياسات دقيقة للغاية لخطوط الطول وخطوط العرض.

وتسب البيروني للكواكب مسارات بيضاوية، وبيّن أنّ الأرض تدور حول محورها وألف ما لا يقلعن 120 كتابا ومقالة في مختلف العلوم والأدب.

واللافت أن البيروني طبق الحكمة اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد حرفياً، كما تدل على ذلك الرواية التالية: بينما كان البيروني مريضا، وفي حالة خطيرة، جاء لزيارته صديق، وهو من العلماء فاغتنم البيروني الفرصة لسؤاله في موضوع علمي وعندما عبر الصديق عن دهشته من ذلك، قال له البيروني: " أفضل أن أترك هذا العالم وأنا أعرف الإجابة عن سؤالي بدلاً من تجاهله". وما إن رحل هذا الصديق حتى لفظ البيروني أنفاسه الأخيرة خاتما بذلك حياة ثقافية وعلمية جدّ مزدهرة. (اولداش، 2022، صفحة 4).

وكان اليونانيون يعتبرون أن الكواكب الخمسة المعروفة آنذاك، فضلا عن الشمس والقمر، تدور كلها حول الأرض، في حين أنّ كوكبنا ثابت في مكانه وهو يحتل مركز الكون هذه الفكرة هي التي بنيت على أساسها نظريات فيثاغورس وأرسطو وبطليموس، والعديد من الفلاسفة الآخرين وكان نظام بطليموس من بين كل هذه الأنظمة، الأكثر تعقيدا ودقة. لقد استطاع هذا النظام أن يُحدد حركة الكواكب بشكل جيد نسبيا. ولذا ظل ساري المفعول لمدة قرون طويلة حتى استبدل بنظام كوبرنيكس الذي يعتمد على مركزية الشمس.

اعتمد العلماء العرب والمسلمون بوجه عام على نظام بطليموس لكن في وقت مبكر من القرن العاشر، انتقد البتاني والبيروني هذا النظام. ومع ذلك، وُجهت أكبر الانتقادات في الأندلس ومراغة (في بلاد فارس) من قبل الفلكي نصير الدين الطوسي وتلميذه ابن الشاطر وفلكيين آخرين.

وفي الأخير يمكن القول: أن لعلم الفلك مكانة رفيعة في الحضارة الإسلامية، ولم يكن مجرد دراسة للنجوم والكواكب، بل كان له أبعاد دينية وعلمية واجتماعية. ولطالب العلم في تلك الفترة، كانت دراسة الفلك تحمل مجموعة من الأهداف المترابطة:

– تحديد أوقات العبادات: كان من أهم أهداف دراسة الفلك تحديد أوقات الصلاة، وتحديد بداية ونهاية شهر رمضان المبارك، وأوقات الحج وغيرها من العبادات التي تعتمد على الرصد الفلكي.

– تحديد اتجاه القبلة: كان تحديد اتجاه القبلة بدقة أمراً أساسياً في الصلاة، وكان الفلكيون يعتمدون على حسابات دقيقة لتحديد هذا الاتجاه.

– فهم آيات القرآن الكريم: كان فهم العديد من آيات القرآن الكريم المتعلقة بالكون والنجوم والأجرام السماوية يتطلب معرفة بأساسيات علم الفلك.

– تطوير المعرفة بالكون: كان علماء الفلك المسلمون يسعون إلى فهم الكون وتفسير الظواهر الفلكية، وقد قدموا إسهامات كبيرة في هذا المجال.

– تطوير الأدوات الفلكية: صمم العلماء المسلمون أدوات فلكية متطورة مثل الأسطرلاب والربع المجيب، مما ساهم في تطوير علم الفلك بشكل عام.

– تحديد المواقع الجغرافية: كان علم الفلك أساسياً في تحديد المواقع الجغرافية ورسم الخرائط.

– تحديد التقويم: كان الفلكيون يحددون التقويم الهجري والتقويم الشمسي، مما كان له أهمية كبيرة في تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

– الزراعة والملاحة: كان علم الفلك له دور كبير في تحديد مواسم الزراعة والملاحة، مما ساهم في تطور الزراعة والتجارة.

– التنبؤ بالظواهر الطبيعية: كان العلماء يسعون للتنبؤ بالظواهر الطبيعية مثل

المحاضرة السابعة

علم الكيمياء في الحضارة الإسلامية

<u>الهدف من الدرس</u>: سيتمكن الطلبة من:

- الفهم الشامل والتعرف على أغلب إسهامات العرب في تطوير علم الكيمياء
- الفهم العميق للمبادئ الكيميائية في الحضارة الإسلامية.
- الاستفادة التجريبية في حل المشكلات الكيميائية بطريقة علمية.
- التفكير النقدي والإبداعي في المجال الفكر التحليلي.

تمهيد:

جاء في محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري رئيس جامعة الأزهر الأسبق ما نصه:" لا أذكر أن عجبت كما عجبت وأعجب حين قرأت وحين أقرأ الكلمات التي كتبها بعض علماء الإسلام حول الكيمياء، فقد قرأت للشيخ ابن نباته المصري من أعيان القرن الثامن الهجري قوله "الكيمياء معروفة الاسم باطلة المعنى" والعجب إن أنت قرأت هذه الكلمة لابن نباته ثم قرأت كلمات الفحول عن علماء الغرب وهم يقفون خاضعين حيال الجهود العربية التي بذلت في سبيل الكيمياء وحيال الكشوف العربية التي مهدت للكيمياء سبيلا لم يمهدها سوى العرب ولم يجهلها غير الأخلاف الذاهلين الذين جهلوا أمجاد أسلافهم من أبناء الأمة الإسلامية". (ربوشة والخطيب، 2023، صفحة 145).

أولا: علم الكيمياء في الحضارة الإسلامية

ويقول الدكتور "جوستاف" المعارف التي انتقلت من اليونان الى العرب في الكيميا ضعيفة، ولم يكن لليونان علم بما اكتشفه العرب من المركبات المهمة مثل "الكحول" وزيت الزاج (الحامض الكبريتي) وماء الفضة (الحامض النتري) وماء الذهب ... وما إلى ذلك.

وقد اكتشف العرب أهم أسس الكيمياء مثل التقطير. ويقول الدكتور "جوستاف": قال بعض المؤلفين أن " لافوازيه " هو واضع أسس علم الكيمياء، وقد نسوا أننا لا نعرف علما ابتدع دفعة واحدة، وأنه قد وجد عند العرب من المختبرات ما وصلوا به إلى اكتشافات لم يكن "فوازيه" ليستطيع أن ينتهي إلى اكتشافاته بغيرها. (ربوشة والخطيب، 2023، صفحة 145...147) بالتصرف.

علم الكيمياء، وهو العلم المصري، الذي اشتق اسمه من اسم مصر القديم " كمت" – أي الأرض السمراء – ليعني النظر في المادة، ويقابله أيضا علم الأكسير. وهي المادة – والاشتغال به يسمى صنعة الكيمياء أو صنعة الأكسير أو فقط الصنعة – وهي أشهرها، ومن ثم يقوم به يسمى كيمي أو كيماوي أو كيموي أو صنعاوي أو اكسيري. وهذا العلم لم يرد عليه اليونان أو اللاتين من بعدهم غير مقدار من أفكار غريبة عن العناصر – مثل ما ذكره أرسطو

– وهي الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة حيث أطلقوا على مجموعها الهيولي، أي المادة الأولية (ماجد، 2010، صفحة 211).

ولقد بدأ العرب يهتمون بهذا العلم عن طريق النقل عن تراث اليونان؛ حيث يذكر المؤرخون أن النقل بدأ منذ وقت مبكر على يد أحد الأمويين هو خالد بن يزيد بن معاوية ت. 85هـ / 704م، الذي عاش معظم حياته في مصر؛ إذ لدينا بعض كتب تنسب اليه ترجمتها؛ وأن كانت لا قيمة لها من ناحية الكيمياء الحقيقية. كذلك اتخذ هذا العلم منذ وقت مبكر مظهرا متصلا بعقائد الشيعة؛ فقد تناولها أمام الشيعة جعفر الصادق؛ وإن كان ما ورد عنها منه هو الآخر لا علاقة له بالكيمياء الحالية، وإنما القصد منها تطهر الروح. ومع ذلك؛ فابن خلدون يرى أنه لا يمكن أن تكون الترجمة في هذا العلم، قد بدأت مبكرة هكذا على يد خالد أو غيره؛ إذ العرب كانت إلى وقتذاك مشغولة بالفتن والفتوح وفي طور البداوة؛ وأن خالدا بالذات كان منغمرا في العصبية.

ومع ذلك؛ فقد عرف العرب كثيرا من مبادئ الكيمياء النظرية التي ستكون قواعد علم الكيمياء الحالية. فكانوا يعتبرون – المعادن وهى الفلزات باللغة الكيميائية – عناصر حية تولد وتعيش وتموت، وهى عندهم سبعة مثل الكواكب السبعة الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص والزئبق. واعتبروا المعادن ناقصة إلا معدن الذهب الذي هو المعدن الكامل، وكان همهم تحويل المعادن إليه وأن كان بعضهم يرى استحالة ذلك، وأنه لا يوجد والفضة إلا في المناجم وتكلموا كثيرا عن طبيعة الذهب؛ فقالوا أن طبيعته حارة تشبه الدم، وأن له لونا وطعما وذوقا وملمسا وليونة ولمعانا كذلك عرفوا أشياء كثيرة عن طبيعة الأحجار ؛ ولا سيما الكريمة منها، على الخصوص من اليونان؛ إذ ترجموا كتب أرسطو عن الحجارة)، وذكروا لنا أنواعا كثيرة منها، لا تزال بعض أسمائها بالعربية مثل الزرقون Zircon والزمرد Emerald، والفورند Corundum والفلسبار Felspar ، ومن ناحية أخرى كانت الكيمياء العملية متقدمة؛ فقد اخترعوا لتجاربهم الكيميائية عدّة آلات مثل الأنبيق؛ التي تتكون من قرعة وأنبوبة وقابلة.

وعرفوا عدة وسائل كيماوية منها التصعيد والتقطير والتكليس والعقد والتنقية والتنشيف والتقليب والفهر – للصلب – والترخيم بتصعيد الماء. وأدخلوا الميزان وضرورة مراعاة العلاقات الوزنية حتى أنهم سموا هذا العلم أيضا بعلم الميزان بحكم النسب بين المواد ودليل تقدمهم في الكيمياء العملية أنهم تخدموا البارود، وهو تركيب كيماوي، مثلما استخدموا النار الاغريقية فاذا كانت هذه الأخيرة من اختراع اليونان؛ فإن الأولى من اختراع المصريين؛ إذ أن كلمة بارود العربية انتقلت إلى لغات عديد مثل Poudre و Powder كذلك برعوا في استخراج الروائح العطرية وماء الورد وعرف الشرق بروائحه الطيبة كما عرفوا صناعة الحبر أو المداد ونبغوا في صنع الثياب وكونوا أحماضا متعددة مثل : الكبريتيك والأزوتيك والنيتريك، وتكلموا عن القلويات التي دخلت اللغات الأوربية باسمها العربي Alkali كما تمكنوا من استخراج معادن الذهب والفضة نقية.

ثانيا: إسهامات الحضارة الإسلامية في علم الكيمياء

وقد كان الفلاسفة هم الكيميائيون، ولكن أشهرهم على الإطلاق هو جابر بن حيان (حوالي 772/120)، كيماوي العرب الأول، الذي ينسب إلى اسمه أكثر من مائة كتاب؛ بحيث ارتبط اسمه بهذا العلم في الشرق والغرب، وترجمت بعض كتبه الى اللاتينية، واشتهر بين الأوربيين باسم "Geber". وقد استخدم التدريبات الكثيرة – أي التجارب – وتمكن من استخراج الأحماض والقلويات وأشهر ما كتبه: الخواص الكبير، واحد عشر كتابا في علم الأكسير. (ماجد، 2012، صفحة 213).

الكيمياء عند ابن سينا تعني سلب الجواهر المعدنية خواصها وإفادتها خواص غيرها من الأجسام». أما عند ابن خلدون فهي علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة، ويشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك..... وقد اختلفت الآراء حول أصل كلمة "كيمياء" ومصدرها ونسبتها إلى إحدى الحضارات الثلاث المصرية واليونانية والعربية والذي نميل إليه هو أن الكلمة عربية الأصل، استنادا إلى ما ذهب إليه الخوارزمي في كتابه "مفاتيح العلوم. وقد أكد هو لميارد Holmyard في كتابه المبدعون في علم الكيمياء" على هذا الرأي

من أن علماء العرب هم أول من أطلق على " علم الصنعة " اسم: "علم الكيمياء". (أبو عبية، 2004).

خالد بن يزيد الأموي وجهوده في مجال الكيمياء قد بدأت الكيمياء في الإسلام كأي علم آخر بترجمة كتب اليونانيين الممثلين لمدرسة الإسكندرية. وهذه المرحلة بدأت على يد خالد بن يزيد بن معاوية الأموي (المتوفي 85هـ / 704م)، فقد أولع بهذا العلم ونسب إليه ترجمة كتب النجوم والطب والكيمياء وغيرها ويقول " هو لميارد: Holmyard ويذكر أن خالد بن يزيد شغف بحب العلوم بصورة عامة، غير أنه جعل الكيمياء في المرتبة الأولى، وقد أمر باستدعاء فلاسفة اليونان مصر، وطلب إليهم ترجمة العلوم وبالأخص كتب الكيمياء من اللغتين اليونانية والقبطية إلى اللغة العربية. (أبو عبيدة، 2004، صفحة 213).

ويضيف هو لميارد إن خالدا درس الكيمياء على يد عالم مسيحي من أهل الإسكندرية يدعى ماريانوس (Marianos أو " مارينوس"Marinos، فلما تعلمها أمر بنقل كتبها إلى العربية، فنقلها له رجل يدعى "اسطيفانوس (Staphenos) «، وقد أكد صاعد الأندلسي في كتابه " طبقات الأمم" على أن خالد بن يزيد له في الكيمياء رسائل وأشعار بارعة دالة على معرفته وبراعته فيها). وينسب له ابن النديم من الكتب التي رآها كتاب " الحرارات" وكتاب " الصحيفة الكبير" وكتاب "الصحيفة الصغير" ووصيته إلى ابنه في صنعة الكيمياء.

ومن كتبه أيضا إضافة إلى ما ذكره ابن النديم كتاب السر البديع في رمز المنيع" وكتاب " فردوس الحكمة في علم الكيمياء" وهو عبارة عن منظومة في قوافي مختلفة يبلغ عدد أبياتها ألفان وثلاثمائة وخمسة عشر بيتا وله أيضا كتاب "الرحمة" في الكيمياء، ومقالتا مريانوس الراهب في الكيمياء. وبهذا يكون خالد بن يزيد قد أتاح الفرصة أمام العلماء من بعده لاستيعاب النظريات القديمة في علم الكيمياء، وهيأ الظروف الظهور مرحلة التأليف والإبداع على أيدي العديد من عباقرة العلم وصناع الحضارة الإسلامية وأولهم جابر بن حيان الملقب بشيخ الكيميائيين، ويليه الكندي والرازي. وفيما يلي عرض لشيء من الإنجازات التي قدمها هؤلاء الثلاثة في هذا العلم. (أبو عبيدة، 2004، صفحة 416).

جهود المدرسة البغدادية في علم الكيمياء :[1]

ويعتبر جابر بن حيان الأزدي الكوفي أول رجل ظهر في العالم جدير بأن يلقب بالكيميائي. وقد احتل اسمه مكانة مرموقة في تاريخ الكيمياء، ولم يتسن لغيره الوصول إلى ما وصل إليه، نظرا لكثرة ما ألف من رسائل وكتب وللمهارة التجريبية التي امتاز بها عن سواه. وكانت مكانته في الكيمياء ما لأرسطو قبله في المنطق على حد تعبير (برتلو) العالم الكيميائي الفرنسي. ووصفه ابن خلدون بأنه إمام المدونين في الكيمياء، حتى إنهم يخصونها به ويسمونها علم جابر، وقد رجح عدد من الباحثين أن جابر بن حيان أصله من طوس"، ورحل إلى الكوفة، ثم جعل مقر إقامته في بغداد واتصل بالبرامكة في خلافة هارون الرشيد، وصار صديقا لهم ومقربا لديهم، وروى في كتابه "الخواص" نوادر كثيرة وقعت له مع كبارهم يحي والفضل وأدرك عصر المأمون وفقا لرواية الجلدكي المصري في كتابه (نهاية الطلب في الكيمياء). وتوفى على الأرجح في حدود عام (198 هـ /913م أو عام 200هـ /815م).

الكندي: الفيلسوف البغدادي: وبالرغم من أن علماء الفلسفة يعتبرون الكندي الفيلسوف البغدادي (المتوفي 252هـ / 822م) من أنصار الفلسفة اليونانية، وأنه أخذ بالفلسفة الآرسطية فدرس ما ترجم منها إلى العربية وحاول إصلاحه وشرحه وتهذيبه بالرغم من ذلك فإنه فيما يتعلق بالكيمياء رفض نظرية أرسطو في تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب أو فضة وقال باستحالة ذلك، بل يجب الحصول عليهما من المناجم، ورأى أن الاشتغال بالكيمياء للحصول

---

[1]– علماء آخرون أسهموا في علم الكيمياء:

ومن العلماء العرب الذين امتد نشاطهم العلمي في علم الكيمياء وأسهموا في إثراء التراث العلمي للحضارة الإسلامية بالعديد من المؤلفات القيمة والابتكارات الأصيلة في هذا الميدان الجاحظ (المتوفي 655هـ/727م) في كتابه الكيمياء، وقد استطاع الحصول على النشادر من روث الحيوان (ملح الأمونيا) عن طريق التقطير الجاف ومنهم أيضا: الفارابي (المتوفي 339هـ/950م) وإخوان الصفا وابن سينا (المتوفي 427هـ/1028م) والبيروني (المتوفي 441هـ/1050م) في كتابيه (الجماهر في معرفة لجواهر) و(الصيدلة).

ويرتبط بهذه المدرسة العلمية في الكيمياء القديمة: أبو الحكم محمد بن عبد الملك الصالحي الخوارزمي الذي عاش في بغداد، وصنف في حدود سنة 425هـ/1034م كتاب "عين الصنعة وعون الصناع"، ضمنه وصفا لأهم الآلات التي يستخدمها في عملياته الكيميائية.

على الذهب مضيعة للوقت والمال، بل إنه حذر من ذلك، وصنف لهذا الغرض عدة رسائل، منها: «رسالة في التنبيه عن خدع الكيميائيين». ورسالة في بطلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخدعهم، وقد صنف الكندي في مجال الكيمياء التجريبية والصناعية رسائل هامة منها: "رسالة في أنواع الجواهر الثمينة ورسالة فيما يصبغ فيعطى لونا." و"رسالة في كيمياء العطور " ورسالة في العطور وأنواعها" و"رسالة في تلويح الزجاج"، و"رسالة في السيوف والحديد". و"رسالة فيما يطرح على الحديد والسيوف حتى تتكلم ولا تكل. (أبو عبيدة، 2004، صفحة 422-413 بالتصرف).

تعقيب: كانت جهود علماء المسلمين في إطار المدرسة البغدادية المشرقية، وفي حدود قرنين من الزمان الأثر الكبير في تأسيس علم الكيمياء، وجعله علما تجريبيا بفضل نزعتهم العلمية وميلهم إلى البحث والتدقيق، والتجربة، لكنهم بالرغم من الاكتشافات التي حققوها والجهود التي بذلوها والمواد التي توصلوا إلها والتجارب التي مارسوها فإنهم لم يهتدوا إلى القوانين التي تضبط العمليات الكيميائية، ولم يضعوا للكيمياء قوانين عامة أو رموزا تدل عليها. وهذه أمور كانت وليدة الكيمياء الحديثة ويمكن القول: إن هؤلاء العلماء لم يقفوا فقط عند نتاج الأقدمين من فلاسفة اليونان وإنما على عادتهم خالفوهم في بعض النظريات والآراء وأتوا بآراء ونظريات أكثر ملائمة للحقائق العلمية (أبو عبيدة، 2004، صفحة 422-413).

المحاضرة الثامنة

علم الرياضيات والبصريات في الحضارة الإسلامية:

الهدف من الدرس:

سيتمكن الطلبة:

– من زيادة المعرفة البشرية بالكون والطبيعة، وفهم الظواهر الكونية المختلفة.

– القدرة على حل المشكلات العملية حيث تم استخدام الرياضيات والبصريات لحل العديد من المشكلات العملية في مجالات الزراعة الملاحة، الهندسة، وغيرها.

– فهم المبادئ والقوانين التي لا زال تستخدم حتى اليوم في العلوم الحديثة.

تمهيد:

اهتم المسلمون بالرياضيات وبرعوا فيها، و بفضل ما قدموه من ابتكارات كانوا بحق مؤسسي علم الرياضيات فهم أول من حدد تعريف هذا العلم وقالوا : إنه علم غرضه إدراك المقادير و أطلقوه على الحساب والجبر والهندسة والمثلثات و إلى القرآن الكريم يعود نشاط المسلمين في هذا العلم، فقد أثار القرآن الكريم العقل الإنساني، وجعل معرفة هذا العلم وسائر العلوم فرضا على الكفاية لارتباطها بحياة المسلمين الدينية والدنيوية، فقد كانوا في حاجة إلى الحساب والجبر لحساب المواريث والفرائض وغيرها، و إلى الهندسة لبناء المساجد وتحديد القبلة و إلى المثلثات لبناء المآذن والجسور وتخطيط المدن وغير ذلك. وفيما وممن اشتهر الخوارزمي الجبر والمقابلة، وضع فيه أسس علم الجبر وقواعده برهان نصير الدين الطوسي الذي يعتبر نقطة تحول في تطور الهندسة ... الخ.

أولا : علم الرياضيات في الحضارة الإسلامية

عرف العرب العلم الرياضي بأنه " علم غرضه إدراك المقادير وأطلقوه على الحساب والجبر والمقابلة والمثلثات والهندسة، وقد قطعت بعض الحضارات القديمة كالمصرية والبابلية شوطا بعيدا في العلوم الرياضية، حتى ظهرت الحضارة الإسلامية لتجمع بين ثمار الحضارات السابقة، وتخطو بالعلوم الرياضية خطوات واسعة نحو الأمام وتقدم للعصور الحديثة ركيزة قوية مكنت العالم المعاصر من الوصول إلى ما وصلت إليه من تقدم في شتى جوانب العلم والتكنولوجيا. (بودرواز، 2024، صفحة 1).

فنقلوا نظام الترقيم الذي كان سائد في الهند واستعملوه بدلاً من نظام الترقيم على حساب الجمل.

حيث كانت بدل الهنود أشكال عديدة للأرقام إذا هذب العرب منها سلسلتين الأولى عرفت بالأرقام الهوائية التي تستعمل اليوم والتي كانت أرقام لغة العلم في التراث العربي والسلسلة

الثانية الأرقام الغبارية وهي التي استعملت في المشرق العربي بعد استعمال السلسلة الأولى بقرون وانتقلت إلى أوروبا (العامري، 2012، صفحة 131).

عمل العرب على تهذيب الأرقام واستعملوا طريقة الإحصاء العشري كما استعملوا الصفر لنفس الغرض الذي نستعمله اليوم وبذلك تركوا الأرقام اليونانية، ولم يستعملوا الارقام العربية القائمة على حساب الجمل في علوم الرياضيات واستعملوا الأرقام الهندية بدلاً عنها بعد أن هذبوها وأجادوا في تحديد أشكالها وجعلوا لكل رقم قيمتين قيمة في نفس الرقم وقيمة بالنسبة للمنزلة التي يقع فيها، وأستعمل الصفر في المنازل الخالية من الأرقام لتحديد المنزلة التي تعين قيمة كل رقم ولوا الصفر لما استطاع علماء الرياضيات من حل كثير من المعادلات الرياضية من مختلف الدرجات بالسهولة التي تحل الآن. وسبب هذه التسمية يعود إلى أن البنود كانوا يأخذون غبارا لطيفا ويبسطونه على لوح ويرسمون عليه الأرقام التي يحتاجون إلها في عملياتهم الحسابية ومعاملاتهم التجارية وقد قسم العرب الحساب إلى: حساب غباري، وهو الحساب الذي يحتاج إلى استعمال أدوات كالقلم والورق، وحساب هوائي: وهو الحساب الذهني الذي لا يحتاج إلى استعمال أدوات.

وقد استوعب العرب المسلمون نظام الأعداد الهندي وأوصلوه إلى أوروبا وأضاف اليعقوبي رمزا حسابيا جديدا وهو الصفر، الذي يعد من أخطر المبادئ التي اهتدى إلها العقل البشري في الرياضيات، وقال العالم " آير" إن فكرة الصفر تعد أعظم الهدايا العلمية التي قدمها المسلمون إلى العالم.

يضاف الى ذلك أن علماء المسلمين عرفوا الكسر العشري ووضعوا علامته وقسم العرب الأعداد إلى فردية وزوجية، وأعظم علماء الرياضيات على صعيد الحضارة العالمية هو الخوارزمي الذي صار رمزا لكثير من الأفكار الرياضية، وكان تأثيره قويا في العالم الغربي عن طريق مؤلفاته التي منها عرفوا نظام الأعداد الهندي.

الجبر: عرفه العرب بقولهم: "علم بأصول نتعرف عن طريقها مقادير مجهولة مسماة بأسماء خاصة" ويتوصل به إلى استخراج كمية المطلوب من مفروض بينهما صلة، وعلم

الجبر علم عربي وعنهم أخذ الغرب اسمه، ويقول بعض الباحثين إن هذه التسمية مشتقة من اسم جابر، وإن كان أول من ألف في هذا العلم هو الخوارزمي في عهد الخليفة المأمون وبعد كتاب " الجبر والمقابلة " للخوارزمي مصدرا أساسيا لهذا العلم ونشأته.

ومن علماء المسلمين الذين ألقوا في الجبر أبو بكر الكرخي الذي وضع كتابين الأول في الجبر والمقابلة والثاني الكافي في الحساب، ثم عمر الخيام الذي وضع كتابا في علم الجبر، ومن إنجازات العلماء المسلمين في الجبر، أنهم قسموا المعادلات إلى سنة أقسام ووضعوا حلولا لكل منها، وحلو معادلات الدرجة الثالثة. كما أن لهم الفضل في استعمال الرموز فأشاروا إلى الجذر بحرف (ج) وإلى المجهول بالحرف الأول من كلمة (الشيء) وهو حرف ش الذي حور بعد ذلك إلى حرف س كما أنهم طبقوا لجبر على الهندسة التحليلية. مما ساعد على ظهور علم التكامل والتفاضل، كذلك من المرجح أن يكون علماء المسلمين قد مهدوا للتوصل إلى اللّوغاريتمات. (بودرواز، 2024، صفحة 4)

لقد كان التراث العربي حافزا لعلماء ايطاليا واسبانيا ولبقية بلدان أوروبا لدراسة الرياضيات والاهتمام بها حيث إن علم الجبر دخل إلى أوروبا عن طريق تاجر من أهل بيزا اسمه (ليوناردو) جال هذا التاجر في بلاد العرب ومنها: مصر والشام واليونان وصقلية، وتعلم العرب الأرقام الهندية والجبر والهندسة، وألف كتابا في الحساب ضمنه الجبر ويظهر من مؤلفاته أنه كان يعلم الجبر جيدا. وكان يبرهن للقواعد الجبرية بالهندسة، كما كان يفعل علماء المسلمين ثم ترجمت كتب الجبر العربية إلى الايطالية وصارت تدرس فيمدارس أوروبا.

الهندسة: فهي علم يبحث عن أحوال المقادير من حيث التقدير، وقد أخذ اليونان الهندسة عن الأمم التي سبقتهم، وأضافوا إنها حتى أصبحت علما يونانيا، وحيثما نهض العرب أخذوا كتاب " إقليدس" في الهندسة وترجموه إلى العربية وزادوا عليه، وقد اختصره بعضهم وشرحه آخرون ولقد طبق العرب الهندسة على المنطق وألف ابن الهيثم كتابا في ذلك، وكتابا طابق فيه بين الأبنية والحفر على الأشكال الهندسية (وهو ما يعرف بالهندسة المعمارية وهذا يوضح لنا اهتمام العرب بالجانب العملي للهندسة).

وقد اشتغل العرب في علم تسطيح الكرة وأجادوا فيها ومن الكتب المصنفة فيه كتاب " تسطيح الكرة" لبطليموس و" الاستيعاب " للبيروني، واشتغل العرب بالمربعات السحرية التي هي من أصل صيني، وقد أخذ بها علماء الهند والفرس وغيرهم وتوسعوا فيه. (بودرواز 2024، صفحة 4).

طبق العرب المعلومات الهندسية في البناء فشيدوا الأبنية ونظموا الحدائق كالجامع الأموي في دمشق وقصور الأندلس ومساجدها، وتعد قصور الحمراء وحدائقها والقصر الكبير في اشبيلية والزهراء في قرطبة وحوض السباع في الحمراء دليلا على تطور الهندسة المعمارية عند العرب فهذا العلم هو أحد أبواب الصناعة العلمية والعملية.

المثلثات: وفي حساب المثلثات فلولا العرب لما كان علم المثلثات على ما هو عليه الآن ، فالعرب أول من أدخل المماس في عداد النسب المثلثية، والهم يرجع الفضل في اكتشاف قانون تناسب الجيوب ، واكتشاف قانون عام لحل المثلثات الكروية، وأول من عمل الجداول لنظير المماس والقاطع ونظيره ، ولا يخفى ما لهذا العلم من أثر في الاختراع والاكتشافات في تسهيل كثير من البحوث الطبيعية والهندسية والصناعية، ويرجع الفضل إلى العرب في إدخال الجيب بدلا من الوتر في الدائرة، وهم الذين استنبطوا استعمال المماس (بودرواز، 2024، صفحة 5).

وقد جاء ذكر المماس أول مرة في كتاب العالم الفلكي أبي الوفاء البزجاني الذي عاش في القرن العاشر الميلادي، كما يرجع للعالم العربي أبي جعفر الصوفي الفضل في ايجاد المعادلات لحل المثلثات الكروية وكذلك يرجع الفضل للعالمين ابن الهيثم وأبي الحسن في دراسة المقاطع المستوية لمحيط دوراني.

ثانيا: إنجازات المسلمين في الرياضيات[1]

ومن إنجازات المسلمين في الرياضيات أن الخوارزمي كان أول من طور فن الحساب وجعل منه فنا صالحا للاستعمال اليومي العملي ومفيدا لبقية العلوم بعد أن وسع فيه ونظمه تنظيما دقيقا، ولا ننسى علم الجبر الذي يعود الفضل فيه للعرب وفي طليعتهم الخوارزمي الذي وضعه وسكبه بقالب نظامي، وجعله عملا بكل ما في هذه الكلمة من معنى.

إن أسلوب الرياضيات الذي عرفه الغرب عن العرب كان في حقيقة الأمر إنجازا عظيما لأن الزي الهندسي الذي كسا الإغريق الرياضيات به نزعه العرب وعوضوا عنه بآخر جبري حسابي ، فعلم الجبر لا يزال حتى اليوم يحتفظ بطابع عربي ، كما يعد العرب المؤسسين الحقيقيين لعلم المثلثات الذي لم يعرف الإغريق عنه شيئا، وبهذا يكون العرب قد خلقوا ميدانا فسيحا من العلوم كان من قبلهم مجهولا ، صارت له أهمية في علم الفلك والإبحار ومسح الأراضي ، فأرقام العرب والأسهم التي بلغوا بها حدا قريبا من الكمال ، وحسابهم وجبرهم وعلمهم في المثلثات الدائرية وبصرياتهم الدقيقة كل ذلك أفضال عربية على الغرب ارتفعت بأوروبا إلى مكانة مكنتها عن طريق اختراعاتها واكتشافاتها الخاصة من أن تتزعم العالم في ميادين العلوم الطبيعية منذ ذلك التاريخ حتى أيامنا الحاضرة.

---

[1]– ولدينا أسماء لامعة في علوم الرياضيات أشهرها على الإطلاق محمد بن موسى الخوارزمي (ت حوالي (٢٣٦). ٨٤، الذي عرف للأوربيين في العصور الوسطى باسم الغوريتموس "Algorithmus، وإليه أصبح ينسب علم الرياضيات باسم اللوغاريتمات Logarithme". ونحن لا نعرف شيئا عن الخوارزمي غير أنه عاش في عهد المأمون، وأن معظم كتبه العربية التي شملت علوما عديدة ضاعت، إلا أن بعضها لا يزال يوجد في ترجمات لاتينية فإلى الخوارزمي يرجع الفضل في وضع طريقة الحساب بالأرقام، وهو ما عرف للأوربيين بطريقة العد الهندية، التي نقلها الخوارزمي Algoritmi de mumero indorum، كما أنه أول من تكلم في الجبر والمقابلة واعتبر مخترعه؛ إذ له كتاب فيه وصلنا، ألفه بناء على طلب المأمون. بقصد أن يعرف الناس أحكام معاملاتهم وذلك بالاعتماد على كتب سابقة لاسيما الكتب الهندية ولدينا أسماء شهيرة لعلماء آخرين اشتغلوا بالرياضيات، يتميزون بثقافات متعددة، تذكر منهم أبا كامل شجاع (ت حوالى ٢٨٧/٩٠٠)، لم تصلنا من كتبه الهندسية إلا ترجمة العبرية، وأبا الوفاء البوزجاني (٣٢٨–٣٨٨/٩٤٠–٩٩٨)، الذي ترجم وشرح كتاب ديوفانتس، وزاد في بحوث الخوارزمي في الجبر وله كتاب في الحساب لم يصلنا، وإنما وصلنا ملخص فارسي له (وأبا بكر محمد الكرخي (ت ٤١٠ أو ٢٩/٢٠–١٠١٩)، وهو الذي أصلح في جبر الخوارزمي وله كتاب في الجبر والمقابلة عرف بالفخري ، لأنه أهداه للوزير البويهي فخر (ماجد، 2010، صفحة 189).

ثالثا: علم المناظر والضوء " البصريات "

ويعنى هذا العلم بالبحث في نظرية الضوء وخواصه وظواهره وتطبيقاته والأجهزة البصرية بمختلف أنواعها،

ويعرف علم المناظر في اليونانية باسم " أوبطيقا/ optiqua" بمعنى البصريات (الكافي، 2021، صفحة 144).

ومن أهم الكتب اليونانية التي ترجمها العرب في علم البصريات:

- **كتاب " تحرير المناظر " لإقليدس"، وكتاب " البصريات " لبطليموس**
- ويعد الفيلسوف أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (ت. 252هـ / 866م) من أوائل المشتغلين بهذا العلم في الحضارة الإسلامية فهو – كما يذكر دونالد هيل – أول كاتب عربي يعنى بعلم البصريات.

ومن مصنفاته في هذا العلم: رسالة في " اختلاف المناظر "، ورسالة أخرى في " المناظر الفلكية"، ورسالة في "اختلاف مناظر المرأة".

رابعا: إنجازات المسلمين في البصريات

أما أشهر علماء البصريات في الحضارة الإسلامية غير مدافع – فهو الحسن بن الهيثم البصري البغدادي المصري (ت 403هـ / 1039م)، ولد الحسن بن الهيثم في عام 304هـ / 965م) في البصرة، وهو أحد علماء ثلاثة يزدهي بهم تاريخ العلم كله وهم ابن سينا وابن الهيثم والبيروني وهو بين علماء الطبيعة (الفيزياء) الإسلاميين، ويعتبر الأرفع شأنا، والأعلى كعبا، والأرسخ قدما.

المحاضرة التاسعة:

العمارة والهندسة في الحضارة الإسلامية

الهدف من الدرس:

سيتمكن الطلبة من:

- **الفهم الشامل والتعرف على أغلب إسهامات العرب في تطوير العمارة الإسلامية.**
- **معرفة المميزات التي تميز المدن الإسلامية عن المدن الأخرى.**
- **معرفة أهمية ما هي أهمية المساجد والمآذن والقصور في المدن الإسلامية.**
- **معرفة العوامل التي ساهمت في ازدهار المدن الإسلامية.**

تمهيد:

لقد تميزت العمارة الإسلامية بتنوع مبانيها ما بين المباني العامة والمباني الخاصة والمباني المدنية والعسكرية والمباني الدينية كالمساجد والمدارس ... كذلك قد تميز بناء القصور كمقرات للحكم تميز بها العرب المسلمون منذ القدم، والتي تم تكييفها سواء من حيث المسقط الأفقي أو حتى الزخارف لتتناسب مع متطلبات الدين الإسلامي، كتقسيم القصور إلى السلملك والحرملك أو في الابتعاد عن التجسيم في الزخارف واستخدام العناصر النباتية والهندسية وغيرها. ويعلم الباحثون أن فن العمارة في صدر الإسلام كان غاية في البساطة، ولم يهتم الخلفاء الراشدون ببناء القصور فكانت مساكنهم عبارة عن حجرات قليلة لا تفترق عن بيوت الناس إلا بما فيها من الدواوين حتى إن دار الإمارة وهي أهم ما في المدينة الإسلامية بعد المسجد كانت بسيطة في أول الأمر ثم تدرجت إلى الفخامة خصوصاً بعد الفتوحات وتنافس الحكام في البناء فأصبح يعرف من دون المباني الأخرى بأسماء تدل عليه وتميزه.

وقد نشأت العمارة الإسلامية في بداياتها كحرفة بسيطة من حرف البناء في أبسط أشكاله، ثم تطورت حتى نشأت عنها مجموعة من الفنون المعمارية المختلفة، وتعد العمارة من أهم مظاهر الحضارة فالعمارة هي المرأة التي تعكس آمال الشعوب وأمانيها وقدراتها العلمية وذوقها الرفيع، بل وفلسفتها أيضا، وانقسمت العمارة الإسلامية إلى ثلاثة أنواع هي عمائر دينية مثل المساجد والأضرحة وعمائر مثل القصور والقناطر والأسبلة والمدارس وعمائر حربية مثل القلاع والحصون والأبراج والأسوار والبوابات. (مجموعة كتاب، 2020، صفحة 05).

أولا: القصور الإسلامية الفاخرة

اهتم العرب المسلمين ببناء دور الإمارة والقصور بعد أن اتسعت دولتهم وتوطدت أقدامهم في الأقاليم بعد الفتوحات الإسلامية، حيث خرجت فكرة الاهتمام بالمباني وخاصة القصور بعد أن خفت حدة الفتوحات الإسلامية، وبعد، وتخطيط القصور في العمارة الإسلامية متشابهة فمسقطها مربع يحيط بها سور تعلوه أبراج ركنية وضلعية دائرية أو نصف دائرية لها مدخل

واحد يوصل إلى فناء مكشوف تحيط به كل المرافق كالأروقة والمساكن والسلالم والأحواض (مجموعة كتاب وباحثين، 2020، صفحة 6).

وقد تميزت تلك الأبنية بالاتساع والرحابة وكادت تقارب المدن بمقاساتها فقد بلغت مساحة قصر الزهراء خمسة وعشرين ألف متر مربع.

تعد القصور الإسلامية نماذج رائعة للبناء المتين والزخارف الجميلة والذوق الرفيع، فحوت أجمل ما في العمارة والجمال من رسوم للجدران والمقرنصات والخزف والبرك والواحات والشبابيك والسقوف بألوانها المميزة وأشكالها الأنيقة وانتشرت تلك القصور في أرجاء المدن الإسلامية وبواديها. كانت قصور الخلفاء الأمويين في البوادي حيث يقيمون فيها لبعض الوقت للاستجمام فاهتموا بإنشاء القصور المزينة بالزخارف النباتية والهندسية والصور والتماثيل، وتمثل قصور الأمويين التي بنوها في بادية الشام الفن الإسلامي في شكله المدني، ومن المرجح أنّ هندسة هذه القصور تجمع بين الفن الروماني والغساني والفارسي.

ويؤكد المعماريون أن القصور الأموية بنيت وفق شكل معماري متماثل في كثير من تفاصيله التي تبدأ من السور المحيط بالمبنى ثم الصحن الداخلي الذي تشرف عليه أروقة تعقيها غرف في طبقة واحدة أو طبقتين. وما يميز فن العمارة الأموي هو أصالته في النشأة المأخوذ من التقاليد العربية والظروف المناخية. (مجموعة باحثين، 2020، صفحة 7).

ومن أشهر قصور الأمويين قصر عمره المنسوب إلى الوليد بن عبد الملك ويقع على بعد مائة كيلو متر شرق عمان، وفي هذا القصر تظهر آثار فنون ما قبل الإسلام البيزنطية والساسانية وخصوصاً في زخرفة التصاوير البشرية على الجدران وهو مكون من طابق واحد ، ويقسم إلى قسمين قاعة الاستقبال وأفنيتها والحمام وأفنيته ومنها قصر (خربة المفجر) ويبعد حوالي خمسة كيلو مترات شمال أريحا بناه عبد الملك بن مروان ويتميز بسعته وينفرد بأساليب معمارية فنية لا يوجد لها مثيل في سائر القصور فهو يتكون من ثلاثة أبنية ضخمة هي مبنى السكن ويشمل قاعة البلاط وغرف الإدارة وغرف الحريم.

ومن روائع القصور الأموية قصر المشتى الذي ينسب إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ويقع في الصحراء الأردنية قرب عمان ويتألف من مجلس أمامي مزود بغرف جانبية وفناء كبير يتوسطه حوض ماء وتتوزع من القاعة الرئيسية ثلاثة أروقة تمتد عمودية على الجدار الرئيسي وللقصر بوابة واحدة وهو مبني من الآجر المشوي أما واجهة القصر ففيها زخرفة فنية رائعة وقصر الحير الغربي قرب تدمر المنسوب إلى هشام بن عبد الملك وهو أشبه بالحصن له سور عال مزود بالأبراج وفيه زخارف متنوعة ذات رسوم هندسية ونباتية. وهناك قصور أخرى تشهد إلى ما وصل إليه الأمويون في الفن المعماري وتشترك جميع هذه القصور في تصميم واحد تقريباً لا يختلف إلا في التفاصيل وهي مشيدة بالحجارة، وتتميز بكبر حجمها ومتانة جدرانها، كما توفرت فيها وسائل الراحة والرفاهية من حمامات مزودة بغرف الاستحمام بالماء البارد والساخن وهكذا أصبحت البادية عامرة بهذه القصور وغيرها كثير.

وفي العصر العباسي زاد الاتصال بالحضارات المختلفة، فزاد الاهتمام بالعمارة وزخرفتها، واشتد اهتمامهم ببناء القصور الفاخرة، مثل قصر الخليفة المعتصم في مدينة سامراء، وقصر المأمون، وغير ذلك. وهكذا نجد تمازج العمارة الإسلامية في العصر العباسي بالعمارة في الحضارات الأخرى والاهتمام بالزخرفة والإسراف في بناء القصور وتشييدها، مما يعد تطورًا لا يتمشى مع روح الاعتدال.

❖ **مفهوم القصر، القصور:**

_ لغة:

كلمة قصر في اللّغة العربية تعني البيت الفخم الواسع وجمعها قصور.

كلمة قصر palace هي مشتقة من الأصل اللاتيني Paelis وتعني قصر، مقر الحاكم أو الملك أو مبنى أو منزل فخم.

وقيل: أن مفهوم القصور في المناطق الصحراوية عامة يختلف عن المفهوم الآخر للقصور في المدينة والمناطق الحضرية وهذا المفهوم المغاير يمكن معرفته من خلال ما اتفقت حوله الدراسات الحديثة بأنه: "الفضاء المشترك المغلق والمقسم إلى مساحات موزعة توزيعا

نوعيا والذي تخزن فيه مجموعة بشرية ذات المصلحة الواحدة محصولها الزراعي الموسمي وتستعمله وقت السلم لممارسة نشاطاتها التربوية والطقوسية والاجتماعية والتجارية ووقت الحرب للاحتماء من الأعداء، ففي جميع المناطق الصحراوية عامة تعني تسمية القصر بالمحصن لوجود سور عظيم يحيط بالقصر، وهي متفاوتة الاتساع حسب كبر حجم المدينة (مجموعة كتاب وباحثين، 2020، صفحة 13).

❖ **تاريخ بناء القصور:**

اهتم العرب المسلمون ببناء دور الإمارة والقصور بعد أن اتسعت دولتهم وتوطدت أقدامهم في الأقاليم التي تم فتحها من العالم، حيث خرجت فكرة الاهتمام بالمباني وخاصة القصور بعد أن خفت حدة الفتوحات الإسلامية، وبعد أن أخلد معظم العرب إلى السكينة والسلم، ولم تخرج هذه الفكرة إلى حيز الوجود إلا في أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان حيث بدأت الثروات تتدفق من كل صوب وبدأ العرب يخرجون من بداوتهم ويستبدلون بدورهم القديمة البسيطة قصورا فخمة. (مجموعة كتاب وباحثين، 2020، صفحة16) .

ثانيا: المساجد والمآذن في الحضارة الإسلامية

يعد المسجد مركز الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية ويمارس فيها المسلمون وظائفهم المختلفة ، فيستقبلون الوفود ويتدارسون شؤون حياتهم، ويجلسون فيه للقضاء ويجتمعون لاتخاذ قرار السلم والحرب، وهو فوق ذلك المكان الذي يؤدي فيه المسلم شعائره الدينية تقربا الله عز وجل ، ومن اجل ذلك كان المسجد أول واهم المباني التي أولاها المسلمون عنايتهم وقد راعوا في بنائه أن يكون فنا معماريا مغايرا لفن معمار الكنائس والأديرة والمعابد الوثنية، فلم يكن فيها رسوم وصور وتماثيل وزينوها بالآيات القرآنية الشريفة والرسوم النباتية والأشكال الهندسية، وكان مسجد المدينة أول المساجد التي اتخذها المسلمون وتم توسعته مرات عديدة ليتسع للمصلين ، واتخذ بناؤها نظاما مستطيلا على الأغلب ، وقسم لقسمين صحن المسجد أي مكان الصلاة وهو القسم المسقوف، والساحة الخارجية وهي ساحة فضائية مكشوفة تتصل بالمسجد يتوسطها بركة ماء تستخدم غالبا للوضوء ، ويحيط بها أربعة

أروقة تسندها الأعمدة، فكان أغلب المساجد الإسلامية وفق هذا النظام، ثم تم إضافة المنارات منذ العصر الأموي ، أما مميزات المسجد من الداخل فهناك المنبر الذي يتوسط جدار القبلة ليصعد عليه الخطيب وهناك المحراب في جوار المنبر ويكون غائرا في الجدار لتحديد اتجاه القبلة. من أبرز المساجد الإسلامية المسجد الأموي في دمشق، مسجد قبة الصخرة المشرفة (القدس)، جامع قرطبة (الأندلس). (بودرواز، 2024، صفحة 2).

❖ **المآذن:**

يعتبر فن بناء المآذن الإسلامية من الفنون الأصيلة التي ارتبطت بالحضارة الإسلامية وطرزها المعمارية، كما أنها تواجدت في كل البلاد التي دخلها الإسلام وتنوعت تنوعا شديدا وتفاوتت في أشكال هندستها المعمارية والزخرفية آخذة في الاعتبار النواحي التاريخية والثقافية للبلاد التي وجدت فيها حتى ظهرت الألوف منها في تلك البلدان، وقد ظهرت المئذنة في البداية كمكان مرتفع يقف عليه المؤذن لإيصال صوته لإعلان الصلاة ثم راحت تتطور هندسيا وجماليا وأصبحت رمزا جامعا للإسلام بهيبته وجلاله، فإذا كنت في أي مكان من العالم الإسلامي فلا بد أن تظهر أمامك إحدى المآذن الإسلامية؛ فالمئذنة علامة على وجود المسجد والهوية الإسلامية (إسماعيل 2020، صفحة 14).

وكما يقول القائل: تراها وتستظل بظلها وهي فارهة وتعشق تفاصيلها الجمالية الخلابة.. إنها المئذنة... مئذنة المساجد كما تسمى في بعض مناطق الوطن العربي كمصر وبلاد الشام أو (المنارة) كما تسمى في مناطق أخرى كالعراق أو (الصومعة) كما يطلق عليها في مناطق كمنطقة المغرب العربي؛ فهي ذلك البرج الطويل الشاهق الذي يعانق السماء يتم إلحاقه بالمسجد، والهدف من بناء المآذن هو إيصال صوت الأذان إلى أبعد مدى ممكن. إسماعيل، 2020، صفحة 15).

لقد صنف المتخصصون في العمارة الإسلامية طرازات المآذن وأشكالها في فئات تتصل إما بالحقب التاريخية أو بالبلد الإسلامي الواحد أو بأشخاص بناتها من الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء كانت أولى المآذن في الإسلام هما الموجودتان في المسجدين الجامعين

الكبيرين بالمدينة المنورة ودمشق اللتان شيدهما الخليفة الوليد بن عبد الملك، وقد أقيم جامع دمشق في الفترة ما بين عامي ٧٠٦–٧١٥م. أقيمت في أركان السور الذي بناه الخليفة الوليد أربعة أبراج وبعد فتح المسلمين لسوريا في عام ٦٣٥م اشترك المسلمون في استخدام الأبراج حينها كمآذن. (إسماعيل، 2020، صفحة 16).

ثالثا: المدن الإسلامية

احتاج المسلمون بعد اتساع حركة الفتوحات إلى بناء مدن جديدة وهدفت إلى عدم اختلاط المسلمين بالشعوب المغلوبة لكي يحافظوا على صفاتهم وميزاتهم ومن هنا اتخذت المدن الجديدة طابعا عسكريا، فبنيت لتكون معسكرات للجيش حيث نقل إليها الجنود وأهلهم وذويهم، وبنو لهم مساكن حول المعسكرات، وكانت البصرة أقدم المدن التي بناها المسلمون في العراق عند ملتقى دجلة وفرات وذلك سنة 14 هـ. ويعود بناء المدن عند المسلمين إلى عوامل عدة العامل العسكري حيث بدأت أكثر المدن كمعسكرات خاصة بالجيش منها البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان، أما العامل الإداري فبعض المدن بنيت لتكون مقرا للإدارة الإسلامية، والعامل هناك، قيام العباسيين ببناء مدينة بغداد عام 145 هـ لتكون عاصمة لهم، وقيام جوهر الصقلي ببناء مدينة القاهرة لتكون عاصمة للفاطميين عام 362هـ . أما العامل الديني فأنشئت عدة مدن لاعتبارات دينية منها النجف لوجود ضريح الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكربلاء .... أيضا هناك عامل توفر المياه وصحة المناخ والموقع الاستراتيجي وحصانة المنطقة وسهولة المواصلات، وصارت السمة البارزة للمدينة الإسلامية وجود عناصر ضرورية أهمها المسجد الذي يتوسط المدينة ثم قصر الإمارة بجانبه ودواوين الدولة الإسلامية ثم المراكز والمحال والأسواق والقيساريات والحمامات ثم البيوت والأحياء. (بودرواز ، 2024، صفحة 1).

❖ **خصائص المدن الإسلامية:**

– التخطيط العمراني: تميّزت المدن الإسلامية بتخطيطها العمراني الدقيق، حيث كانت الشوارع واسعة ومنظمة، وكانت المساجد والقصور والأسواق تقع في أماكن استراتيجية.

– العمران الفخم: شيد المسلمون العديد من المباني الضخمة والفخمة مثل المساجد والقصور والحمامات والأسواق، والتي كانت تزينها الزخارف الإسلامية الجميلة.

– التنوع الثقافي: كانت المدن الإسلامية مراكز للتبادل الثقافي، حيث اجتمع فيها المسلمون مع غير المسلمين، مما أدى إلى إثراء الحضارة الإسلامية.

– الاهتمام بالعلوم: شجعت المدن الإسلامية على الاهتمام بالعلوم والمعرفة، حيث كانت تضم مكتبات كبيرة ومدارس عليا.

– التجارة والصناعة: كانت المدن الإسلامية مراكز تجارية مهمة حيث كانت التجارة تزدهر فيها مما أدى إلى تطور الصناعات والحرف.

أمثلة عن المدن الإسلامية:

– المدينة المنورة: أول مدينة إسلامية وقد تم تخطيطها بشكل متقن، وكانت مركزا للدولة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

– البصرة والكوفة: من أقدم المدن الإسلامية في العراق، وقد لعبتا دورًا هاما في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية.

– دمشق: عاصمة الأمويين، وكانت مركزا للحضارة الإسلامية في العصر الأموي.

– بغداد: عاصمة العباسيين، وكانت أكبر مدن العالم في عصرها، وشهدت ازدهارا كبيرا في العلوم والفنون.

– القاهرة: عاصمة الفاطميين والأيوبيين والمماليك، وكانت مركزا تجاريًا وثقافيًا هاما.

– قرطبة: عاصمة الأندلس، وكانت مركزا للثقافة الإسلامية في الغرب.

المحاضرة العاشرة:

القوانين والأنظمة الاجتماعية في الحضارة الإسلامية

الهدف من الدرس:

بعد الانتهاء من هذا الدرس سيتمكن الطلبة من التعرف على:

- **المصادر الأساسية للقوانين والأنظمة الاجتماعية في الإسلام**
- **أبرز الخصائص التي تميز القوانين والأنظمة الاجتماعية في الحضارة الإسلام**
- **دور المرأة في المجتمع الإسلامي من الناحية القانونية والاجتماعية**
- **نظرة الحضارة الإسلامية إلى الملكية الفردية والجماعية**
- **كيف نظرت الشريعة الإسلامية إلى حقوق العمال في العصر العباسي**
- **أهمية دراسة القوانين والأنظمة الاجتماعية في الإسلام لفهم الحضارة الإسلامية المعاصرة**

تمهيد:

كانت المبادئ التي نادى بها الإسلام والتي وردت على الخصوص في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة مسهمة في الفكر الاجتماعي بقسط كبير. فالقصص التي يذكرها القرآن والتي وردت في الأحاديث والاستنتاجات التي كانت تبنى علها تمثل جزءا هاما من علم الاجتماع الوصفي بالنسبة للمجتمعات والعصور التي ذكرت بشأنها. كما كان لربط القرآن الكريم في معظم القصص والحكم التي ذكرها بين فساد الحال وسوء الخلق أو معصية الأنبياء والرسل، تأكيد للربط في الظواهر الاجتماعية بين السبب والنتيجة أو العلة والمعلول، وبالتالي تأكيد بأن الظواهر الاجتماعية لا تسير فوضى وبدون نظام بل تسير وفق قواعد معينة... ومن ذلك قوله تعالى: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" وأمثلة عديدة وردت في قصص آدم ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى وغيرهم.

أولا: التنظيم الاجتماعي في الحضارة الإسلامية

كان الأساس في التنظيم الاجتماعي قبل الإسلام يعتمد على تشكيل القبيلة ، ويتبع لها طبقة عرفت باسم الوالي، وهم الذين دخلوا في ولاء القبيلة ، وهناك العبيد والأرقاء ممن تم شرائهم أو أسراهم ، وعندما مجيء الإسلام أصبحت رابطة العقيدة الإسلامية أساس المجتمع الإسلامي، فوضع الإسلام مبادئ أساسية لتنظيم المجتمع منها ما كان بين الأسرة كعلاقة الرجل بالمرأة والأبناء والآباء وغيرهم، كما اهتمت بالفرد والمجتمع من خلال الحقوق والواجبات ومسؤولية الفرد تجاه أسرته والفقراء، وجعل أساسها المودة والرحمة والتواصل وكذلك المساواة بين المسلمين في الحقوق والواجبات.

- **خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام**

1 – أنه نظام رباني: وفي النظام الاجتماعي في الإسلام جاءت التوجهات الإلهية، والرعاية الربانية لكل جوانب حياة الفرد والأسرة والجماعة والأمة؛ قد سمع الله سبحانه مناجاة امرأة مؤمنة، ومجادلتها في حاجة من حوائجها، فكيف بحاجات المجتمع والأمة. (الصويغ، 2008، صفحة 82).

2- أنه نظام تَعَبدِي: تتم فيه الأعمال الصالحة استجابة لأمر الله، وتكون فيه المبادرة إلى الإحسان لوجه الله تعالى، ولا تكون مبادَلَةُ المنافع المادية العاجلة هي الدافع بل هي من فضل الله الذي يمتزج مع العبادة بمعناها الشامل، إن الإسلام لا يَعُدُّ العبادة فيه مجرد إقامة الشعائر؛ إنما الحياة كلها خاضعة لشريعة الله فالحياة بكل أنظمتها ونشاطاتها متوجهة إلى الله، ومن ثَم فإن كل خدمة اجتماعية، وكل عمل من أعمال البر والصلة والخير عبادة الله سبحانه.

3- أنه نظام متوازن: فالنظام الاجتماعي في الإسلام تتوازن فيه حقوق المرأة وحقوق الرجل، حقوق الفرد وحقوق الجماعة، وحقوق المجتمعات فيما بينها، تتوازن فيه متطلبات الإنسان العاطفية والعقلية. وميوله ورغباته الجسدية والروحية، فلا يطغى جانب على حِساب جانب، فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العالمين، الذي أنعم علينا بهذا التشريع الميسر والنظام الاجتماعي الكريم (الصويغ، 2008).

4 - أنه نظام متكامل: النظام الاجتماعي في الإسلام يقوم على التكامل بين الأفراد، الذكر والأنثى كل له رسالة محددة يُكمل بعضهم بعضا، والناس بمجموعهم تقوم حياتهم على التكامل لا على الصراع، تقوم على أن يُحِبُّ الفرد المسلم لأخيه ما يحب لنفسه.

5 - أنه نظام شامل ميسر: فالنظام الاجتماعي في الإسلام نظام شامل لمصالح المسلم؛ مِن خَلْقه جنينا في بطن أمه إلى مماته وما بعد مماته، يحفظ الحق له، ويرتب المصالح المتعددة بتناسق وتضافر شامل في إحسانه لجميع جوانب الحياة، وما خلق الله فيها من الكائنات.

- **أهداف النظام الاجتماعي في الإسلام**

ومعرفة الأهداف لها أهمية بالغة في التطبيق، ولها أهمية بالغة في الوقاية وفي المبادرة، وفي الرعاية لكل المصالح التي تهدف إلهاء الوقاية من كل المخاطر التي قد يتعرض لها المجتمع، والمبادرة إلى المقاصد التي عني بها الإسلام والرعاية لكل جزئيات المصالح التي قَصَدَها في تشريعه، وقد استقرأتها واستقصيتها، وهي كما يلي:

1: تحقيق السكن: السكن النفسي والحسي والجنسي والعاطفي السكن بكل معانيه التي امتن الله بها.

2: تحقيق المودة: المودة التي تنمي في النفس مكارم الأخلاق المودة التي تهيئ المحصن السليم لتربية الأجيال المودة التي تصنع الأبطال، فمن الأسر المؤمنة والنساء الصالحات تخرج الأفذاذ في حضارة الإسلام الممتدة عبر الأزمان.

3: تحقيق الرحمة: الرحمة التي كتبها الله على نفسه سبحانه الرحمة التي جَمَّل بها الحياة كلها، حياة الإنسان وحياة الحيوان الرحمة التي اشتق منها الرّحِم، الذي يتواصل به البشر.

4: تحقيق الحق: وقد شمل النظام الاجتماعي في الإسلام جميع جوانب الحق، وحث على جميع الوسائل الموصلة إليه فيما لا يتسع المقام لبَسْطِه.

5: تحقيق التكافل الاجتماعي: فمن خلال اللبنات الأسرية، ومن خلال العلاقات القوية يتكون المجتمع وأقوى رابط يربط هذه اللبنات هو التكافل والتعاون على البرّ كله، وعلى الخير كله، وعلى تحقيق غاية الخلق، وهي تقوى الله وطاعته، فالتكافل الاجتماعي هدف في النظام الاجتماعي والاقتصادي في الإسلام به تَقْوَى العلاقات وتنمو الحياة. (الصويغ،2008، صفحة 87).

وقد أرسى الإسلام مبدأ التكافل الاجتماعي عبر نفقة الأقارب ووجوبها، وجعل له نصيب من الحرية إلا أنه رابطها بمصلحة الجماعة ، كما أرمى نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقرر مسؤولية الفرد عن أعماله أما صلاح الفرد في المجتمع الإسلامي فكان مربوط بطاعة الله وبقدر ما يقدمه الفرد للمجتمع ، والتزام المسلم بالعبادات ما يجعله منى ناحية يحظى بمرضاة الله وببعده من ناحية أخرى عن الأنام والسيئات والتي تعرض المجتمع للانهيار فمن ذلك مثلا الصلاة التي تشغل الفرد عن اللهو والعبث ، والصيام الذي يعمل على ضبط شهوة الطعام والغرائز والزكاة التي تذكر بحق الفقير وتضبط شهوة حب المال.

6: التعارف: وبعد تحقيق التكافل بين أعضاء المجتمع المسلم، يهدف النظام الاجتماعي في الإسلام إلى التعارف بين الشعوب والقبائل، ومد جسور التواصل النافع، والتعاون على البر حتى مع من يخالف في الدين إذا رضي بذلك. (الصويغ، 2008، صفحة 56).

7 : الرق: من المظاهر الاجتماعية في الإسلام الرق وكما هو معروف الرق هو استعباد الناس وامتلاكهم والرقيق هم العبيد ، والعبد هو الذي يصبح ملكا لغيره ويفقد حريته في التملك والرق كان معروفا قبل الإسلام عند البابليين والمصريين والفرس واليونان والرومان وغيرهم، أما في الإسلام فمصادر الرقيق أي ملك اليمين يأتي من الأسر في الحروب حيث أجاز الشرع استرقاق سكان المناطق المفتوحة غصبا ولم يدخلوا الإسلام ولم يدفعوا الجزية، وذلك بممارسة التجار لهذه التجارة واستقدامها من الأسواق الخارجية ومن ثم إدخالها إلى المدن الإسلامية وبيعها في أسواق سميت أسواق النخاسة . وقد وضع الإسلام محددات للرق ولم يقم بمنعها فقد حرم استرقاق الأحرار دون سبب مشروع وعمل على تنظيم شؤون الأرقاء والأخذ بأيديهم نحو الحرية وساوى بينهم وبين أسيادهم في الطعام والشراب واللباس والتعلم وحذر من إساءة معاملهم. واستخدموا في الخدمة المنزلية، وكذلك الغزل والنسيج. (بودرواز، 2024، صفحة 6).

8: حفظ الضروريات الخمس: يهدف النظام الاجتماعي في الإسلام إلى حفظ الضرورات التي تقوم عليها الحياة، وهي خمس:

1- الدين: وبه تستقيم علاقة الإنسان مع ربه، وتتحقق به الغاية من وجوده.
2- العقل: وهو مناط التكليف، ومحل التميز والتكريم.
3- النفس، وبها استمرار الحياة للغاية العظيمة التي أرادها الله سبحانه.
4- العرض والنسل، وبه تكاثر البشر، وعفة وطهارة الأصل.
5- المال، وبه قوام الحياة، والعون على أداء الواجبات والطاعات.

ثانيا: المرأة في الحضارة الإسلامية

أما فيما يخص المرأة فقد تمتعت المرأة بمكانة قبل الإسلام فقد ساهمت في الحياة الاجتماعية والاقتصادية رغم أن هناك من القبائل من تطيروا منها ووصلوا إلى حد وأد البنات منها قبائل ربيعة وكندة وتميم ، ولما جاء الإسلام منع الظلم عن المرأة وحرّم وأدها ، وأوصى الآباء بالبنات خيرا ، وأكرم المرأة واعترف بأهليتها في الحقوق المدنية والمالية ولم يفرق بينها وبين الرجل في المجالين الإنساني والاجتماعي وجعل لها حقا في الميراث وحرّم إكراه البنت على الزواج، وشاركت المرأة في ميادين الحياة المختلفة كالجهاد في خدمة الجرحى وبرزت في العلوم الدينية والوعظ والفقه والحديث ، وشاركت في الأدب والشعر والحكمة والسياسة ، وتبوأت مكانة رفيعة في المجتمع الإسلامي منهن عائشة أم المؤمنين و أسماء بنت أبي بكر ، وغيرهما.

ثالثا: نظام الأسرة في الحضارة الإسلامية

وفيما يتعلق بنظام الأسرة فقد عرفت الأسرة في الإسلام تطورا ونظاما مميزا وفق الشريعة الإسلامية فكان الزواج في الإسلام عقد دائم يربط الرجل بالمرأة ارتباطا مقدسا ، وهو واجب اجتماعي للحفاظ على النوع الإنساني ، وقد حث الإسلام على الزواج لأنه عماد الأسرة والأسرة عماد المجتمع ، وقد حدد الإسلام شروط الزواج وسمح الإسلام بتعدد الزوجات (أربعة) شريطة العدل والمساواة بينهن ونظم الطلاق الذي هو حل رابطة الزوجية وأحله لضرورات في الإسلام وهناك الطلاق الرجعي والبائن بينونة صغرى والطلاق البائن بينونة كبرى ، كما نظم الإسلام الميراث وأطلق الفقهاء اسم الفرائض على المواريث والفرض في الشرع هو النصيب المقدر للوارث من تركة البيت، ولم يكن العرب في الجاهلي يورثون النساء أو الصغار من الذكور لأن الإرث عندهم لمن يركبون الخيل ويغزون العدو وعند مجيء الإسلام أبطل ذلك كله وفرض للذكر مثل حظ الأنثيين وقد فرض الإسلام قانون التوريث لمنع تكديس الأموال في أيد قليلة والحدّ في الفروق بين الطبقات ، وحدد شروط الميراث وكل ما يخص هذه المسألة وفق الشريعة الإسلامية.

وتحدث الإسلام عن الوصية وهي هبة الإنسان غيره عينا أو دينا أو منفعة على أن يملك الموصى له الهبة بعد موت الموصى وفيه منفعة كبيرة للأطفال وحاجتهم للمال في حالة وفاه الوالدين. (بودرواز، 2024، صفحة 7).

وقد تقدم علم الصيدلة على يد الوزير ابن واقد الطليطلي، وهو أبو المطرف اللخمي المعروف للأوربيين باسم ben Nufit (427/1074)، وهو اسباني من طليطلة، كان عارفا بكتاب ديسقوريدس) Diskryrides 20م ، وكان درس على أبي القاسم الزهراوي الطبيب وله كتاب اسمه الأدوية المفردة (ماجد، 2010، صفحة 2010).

المحاضرة الحادية عشر:

الأسواق في الحضارة الإسلامية

الهدف من الدرس:

بعد هذا الدرس سيتمكن الطلبة من:

- معرفة أقدم الأسواق التي ظهرت في الحضارة الإسلامية
- الدور الذي لعبته الأسواق في نشر الثقافة والمعرفة في المجتمعات الإسلامية
- أبرز الأسواق التي كانت موجودة في المدن الإسلامية الكبرى
- معرفة أهمية الأسواق في المدن الإسلامية.

تمهيد:

احتلت الأسواق التجارية منذ بداية نشأة المدينة العربية موقعا مركزيا بالقرب من المسجد الجامع، إلا أنه ومع اتساع المدينة استدعت الضرورة ظهور أنماط جديدة من الأسواق والتراكيب التجارية التي تشبه إلى حد ما التجاري للمدينة الحديثة حيث السوق المركزي حول الجامع الكبير، وشوارع تجارية رئيسية تتخذ نمطا طوليا.

وتعد الأسواق مرآة الحياة الاقتصادية للمدينة العربية الإسلامية ، وعنوان نشاطها التجاري والصناعي بل والاجتماعي أيضا، حيث كان لأهل الصنائع والحرف محلات فيها ولكل سلعة أو صنعة أو تجارة سوق مفردة خاصة بها، مثل سوق البزازين المكتظة بتجار الأقمشة ، ومن يتصل بهم من أصحاب الحرف مثل : النساجين ، والحلاجين والصباغين والخياطين والكوائين ، ومن لهم علاقة بصناعة المنسوجات ومثل سوق الوراقين أو الكتبيين، وذكر اليعقوبي أن في بغداد مئة مكتبة ومثل سوق السلاح والنحاسيات والنجارين ، حيث تباع المحفورات أشهرها المشربيات، ومثل سوق الحلاويين في القاهرة التي يباع فيها السكر والعسل والحلوى المصنعة الخشبية منها.

لقد امتازت السوق الإسلامية بنوع من المنشآت التي تعرف بالقياسر ومفردها قيسارية، وتباع فيها المنتجات الصناعية وسلع الترف وغير ذلك، ولا يزال يوجد في مدينة غرناطة قيسارية من هذا النوع، كما امتازت بإقامة المساجلات الشعرية والأدبية فيها على عادة الأسواق العربية القديمة، مثل سوق المربد في البصرة التي كان يؤمها كبار الشعراء أمثال الفرزدق وجرير في القرن الثاني هجري، كما امتازت الأسواق الإسلامية بوجود نوع من التآزر والتماسك بين أفراد أصنافها وطبقاتها (بودرواز 2024، صفحة 6).

كان الدرهم والدينار شائعين في العهد النبوي وتعامل الناس بهما، وهي دلائل المعرفة العرب بالنقود من الذهب والفضة والدينار والدرهم وغيرها، وهذه العملات كانت إما رومانية وإما فارسية، والعرب لم يكونوا يتعاملون بهذه النقود عددا بل وزنا. ثم ضربت النقود النقوشة في عهد عبد الملك بن مروان الذي أمر الحجاج بضربها في العراق سنة 74هـ، ثم تم تحسينها

وزيادة جودتها فكانت الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بني أمية، وهناك من قال أنّ أول من سك النقود هو مصعب بن الزبير سنة 70هـ.

وفي الإسلام تترك السلع للعرض والطلب لتحديد سعرها، وكانت هناك دواعي لتحديد الأسعار في حالة احتكار التجار وغيرها، ومراقبة الأسعار من ضمن مهام المحتسب.

1- تعريف الأسواق:

منتديات أدبية كانت تقام في الجاهلية والإسلام، أدت دورًا مهما في حياة العرب الدينية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية. يقال للمحل الذي يباع ويشترى فيه سوق، وقد سميت بذلك لأن التجارة تساق إليها وهي تذكر وتؤنث وأسواق العرب إما ثابتة وهي التي تكون في المدن والقرى، وإما موسمية وهي التي تعقد في مواسم معيّنة، وتقع في مواضع متناثرة من جزيرة العرب. وكان بعض هذه الأسواق مقتصرا على ما يجاوره من القرى كسوق هجر وحُجر اليمامة والشخر، ومنها ما كان عاما تقد إليه الناس من أطراف الجزيرة كلها مثل سوق عكاظ ... (مرزوقي، 2024، صفحة 21).

2- أهداف الأسواق:

يُباع في هذه الأسواق السلع المختلفة الأصناف كالزبيب والتمر والزيت والطيب والحيوان وحتى الرقيق يباع فيها ويشترى، ولم تكن هذه الأسواق تقصد للتجارة وحدها، فقد كانت ملتقى أدبيا يتناشدون فيه الأشعار ويتفاخرون ويتنافرون وكان لهم حكام يفصلون بين المتنافسين.

3- أشهر الأسواق:

أشهر العرب في الجاهلية حتى ظهور الإسلام، هي:

أ- الأسواق الثابتة:

- ✓ **سوق عكاظ:** سميت بذلك لأن العرب كانت تجتمع فيها فيعكُظُ بعضهم بعضا في المفاخرة أي: يغلبه، أو أنها مأخوذة من التَّعظ وهو احتباس الناس للنظر في أمورهم تقع سوق عكاظ بين مكة والطائف. وكانت تستمر عشرين يوما من أول ذي القعدة إلى العشرين منه. وهي أشهر وأعرق أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ولم يكن للعرب مجمع أحفل

منها حتى ضرب بذلك المثل. وعكاظ سوق تجارة كبرى لعامة أهل الجزيرة يعرض فيها كل شيء من عروض التجارة كالحرير والمعادن والزيوت. وكانت تصل إليها التجارة من خار الجزيرة كتجارة فارس.

وعكاظ سوق أدب يجتمع فيها الشعراء من كل ناحية ولهم محكّمون كالنابغة الذبياني، وقولهم هو الفصل في الشعر والأدب، وفي عكاظ علقت القصائد السبع. وكانت أيضا مكانا لأصحاب دعوات الإصلاح؛ فكان يقصدها قس بن ساعدة الإيادي الذي كان يخطب في الناس ويذكرهم بعظمة الخالق. وذكر الإخباريون أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد رأى هذا في عكاظ. وقد قصد الرسول هذه السوق وغيرها يدعو من كان يحضر المواسم إلى الإسلام وكان فيمن دعاهم بنو عامر بن صعصعة، ولم تجد دعوته قبولاً في أول أمرها ثم مكن الله له بعد ذلك، وكانت تنزلها قريش وطوائف من أحياء العرب، يؤمونها من العراق والبحرين واليمامة وعمان واليمن وغيرها. وقد اتخذت هذه السوق بعد عام الفيل ببضع عشرة سنة ثم تضاءل شأنها، بعد سنة 129هـ بظهور حركة الخوارج الحرورية، فخُرّبت بعد ذلك وهجرت.

- ✓ **سوق مَجَنَّة:** اسمها مشتق من الجَنَّة التي هي البستان، وقد كانت ذات جمال ومياه. وتعقد بأسفل مكة بمرّ الظهران (وادي فاطمة حاليا يذهب الناس إلها بعد عكاظ ويقيمون بها العشر المتبقية من ذي القعدة حتى يروا هلال ذي الحجة فينتقلوا إلى ذي المجاز للحج. وهذه السوق لقبيلة كنانة عكاظ وكان يجلب إليها ما يجلب إلى تلك الأسواق من متاع. وهذه السوق وإن كانت أقل شأنا من ذي المجاز، إلا أنها تستوي معهما في نظر المحرمين من العرب وتتمتع منهم جميعا بالاحترام حتى كانت قريش وغيرها من العرب تقول: "لا تحضروا سوق عكاظ ومَجَنَّة وذي المجاز إلا محرمين بالحج. (مرزوقي، 2024، صفحة 22).
- ✓ **سوق ذي المجاز:** سميت بذلك لأن إجازة الحجيج تكون منها إلى عرفات. وهي على مسافة ثلاثة أميال من عرفات. وقيل هي بـ: "منى" بين مكة وعرفات. وهذه السوق لقبيلة هذيل. تقوم هذه السوق حين يهل ذو الحجة فينصرف الناس من سوق مجنّة، إليها ويقيمون

بها حتى اليوم الثامن من ذي الحجة وهو يوم التروية (سمّي بذلك لأنهم كانوا يرتوون فيه من الماء ويملؤون أوعيتهم للمرحلة التالية لأن عرفة ليس بها ماء).

وتأتي هذه السوق بعد عكاظ أهمية، وترجع أهميتها إلى أنها من مواسم الحج عندهم، تؤمها وفود الحجاج من سائر العرب ممن شهد الأسواق الأخرى أو من لم يشهدها. ويجري فيها ما يجري في غيرها من البيع والشراء وتناشد الأشعار والمفاخرة والمفاداة كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤمها في المواسم داعيًا إلى دين الحق وإن لم يجد آذانا صاغية أول العهد، فالناس مشغولون بما عهدوا.

- ✓ **سوق المزيد:** تقع في مدينة البصرة والمزيد: محبس الإبل ومربطها. ومرتد البصرة هذا متسع للإبل تزيد فيه للبيع، وكان في الأصل سوقًا للإبل منذ أيام الخلفاء الراشدين، حتى إذا كان عهد الأمويين اتسع وصار سوقا عامة تتخذ فيه المجالس ويخرج إليها الناس كل يوم وتتعدد فيه الحلقات يتوسطها الشعراء ويؤمه الأشراف وسائر الناس يتناشدون ويتفاخرون ويتهاجون ويتشاورون وكان له شأن كبير في ذلك العصر حتى قال جعفر بن سليمان الهاشمي: العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمرتد عين البصرة وداري عين والمزند وظل على مجده هذا حتى خربت البصرة وتقلص عمرانها فخرب وشأن المزيد في اللغة عظيم كشأن عكاظ لولا امتياز عكاظ بموقعه في وسط جزيرة العرب، وبعده عن مناطق العجمة وكان يعج بالفصحاء والرواة يجمعون الفصاحات ويتصيدون الشواهد التي أسس النحاة علها قواعدهم وأصلحوها. كما كان المزيد ساحة لحلقات الشعراء مثل جرير والفرزدق وذي الرمة والشعر النقائض واستمر المزيد يؤدي رسالته وغرضه حتى العهد الأول من العصر العباسي. وقد ورث مكانة سوق عكاظ وحل محله، لأن الإسلام لما حل بجزيرة العرب ضعف شأن الشعر لانصراف الناس إلى الفتوح وانشغالهم بالقرآن والسنة وأحكام الدين فتضاءل أمر سوق عكاظ وأخذ مرند البصرة يتنامى، فكان قبلة العلماء والشعراء فكانت تلك أزهى عصوره). (مرزوقي، 2024، صفحة 23).

ب- الأسواق الموسمية: أهمها:

- **سوق دومة:** الجندل موسمها شهر ربيع الأول إلى نصفه وموقعها مدينة الجوف الحالي
- **سوق هجر:** في البحرين، وهي سوق التمر الذي يضرب به المثل وتعقد في ربيع الآخر
- **سوق المشقر:** حصن بالبحرين قريب من مدينة هجر وتعقد سوقه في جمادى الآخرة
- **سوق غمان:** تقصدها العرب بعد الفراغ من هجر ويقيمون بها حتى آخر جمادى الأولى. وتجتمع فيها تجارة الهند وفارس والحبشة مع تجارة العرب
- **سوق حباشة:** هي سوق تهامة وثقام في شهر رجب، وقد ورد في الخبر أن الرسول صلى الله عليه وسلم دخلها بتجارة السيدة خديجة رضي الله عنها، مرّة؛
- **سوق صحار:** في عمان وتعقد في رجب؛
- **سوق الشخر:** هو الساحل الجنوبي بين عدن وعمان، وتعقد في النصف من شعبان؛
- **سوق عدن:** يرحل إليها العرب بعد سوق الشحر وتقام مدة العشر الأول من رمضان؛
- **سوق حضرموت:** تعقد في منتصف ذي القعدة وربما أقيمت هي وعكاظ في يوم واحد فيتوجه بعضهم إلى هذه وبعضهم إلى تلك.

4- أثر أسواق العرب:

أثرت هذه الأسواق في اللغة والأدب تأثيرًا كبيرًا إذ على قربت لهجات القبائل وكان قيام قريش على هذه الأسواق- عدا المربد- هو الذي هيّأ اللغة القرشية لأن تصبح أفصح اللغات، فتتبوأ المكان الأعلى، لأنهم كانوا يسمعون لغات القبائل على اختلافها فيختارون الحسن منها، حتى خلصت لغتهم وتهيأت الحقول القرآن بها) (مرزوقي، 2024، صفحة 23).

كما كان لهذه الأسواق أثر بارز في الدين؛ لأن المناسك كلها تقوم بإمامة قريش أهل الحرم، فنتج عن ذلك توحيد في اللغة وتوحيد في الدين والعادات هذا إلى جانب الانتعاش الاقتصادي وتنويع السلع من مختلف أنحاء الجزيرة وفارس والهند والحبشة وكان المشجع على قصد هذه الأسواق أنها تعقد في الأشهر الحرم، فكان الأمن فيها مكفولاً فكثر قاصدوها.

5- أهمية الأسواق في الحضارة الإسلامية:

1- المركز الاقتصادي:

تبادل السلع: كانت الأسواق هي المكان الرئيسي لتبادل السلع والمنتجات بين مختلف المناطق، مما ساهم في تنشيط التجارة وتنمية الاقتصاد.

صناعة الحرف: شجعت الأسواق على تطور الحرف والصناعات اليدوية، حيث كان الحرفيون يعرضون منتجاتهم فيها.

2- المركز الاجتماعي:

التواصل الاجتماعي: كانت الأسواق مكانا للقاء والتواصل الاجتماعي بين الناس من مختلف الطبقات والأعراق.

نشر الأخبار: كانت الأسواق مركزا لنشر الأخبار والأحداث، حيث كان الناس يتبادلون أحدث الأنباء.

الترويح عن النفس: كانت الأسواق مكانا للترويح عن النفس والاستمتاع بالأنشطة الثقافية والاجتماعية.

3- المركز الثقافي:

نشر الثقافة والمعرفة: كانت الأسواق مكانا لنشر الثقافة والمعرفة، حيث كان الشعراء والعلماء يتجمعون فها لتقديم قصائدهم ومناقشة الأفكار.

تبادل الخبرات: كان الحرفيون يتبادلون خبراتهم ومعارفهم في الأسواق، مما ساهم في تطوير الصناعات والحرف.

4- الدور السياسي:

قلب النبض: كانت الأسواق تعكس الحالة الاقتصادية والسياسية للمجتمع، وكانت مؤشراً على قوة الدولة واستقرارها.

مكان للتعبير عن الرأي: كانت الأسواق مكانا للتعبير عن الرأي العام والتظاهر.

5- الدور الديني:

التجمعات الدّينية: كانت بعض الأسواق تقام في مناسبات دينية مما يربط بين الجانب الاقتصادي والجانب الديني.

المحاضرة الثانية والثالثة عشر:

الفنون، الحرف والصناعات في الحضارة الإسلامية

الهدف من الدرسين:

بعد الدرسين سيتمكن الطلبة من:

- معرفة أنواع الزخارف المستخدمة في الفن الإسلامي وكذا المواد التي استخدمت في الفنون الزخرفية
- كيف تطورت الفنون الزخرفية الإسلامية عبر العصور
- معرفة أهم الصناعات التي برع فيها المسلمون
- تأثير الفنون والصناعات الإسلامية على الحضارات الأخرى
- التعرف على أشهر القطع الأثرية الإسلامية وأشهر الفنانين والحرفيين في الحضارة الإسلامية

تمهيد:

إن دراسة الفنون الإسلامية تستوجب النظر فيما قدمه العلماء والأثريون والباحثون من المسلمين وغير المسلمين؛ لنقف على كافة الآراء التي قدمت في محاولات لفهم أصل تلك الفنون وعناصرها المختلفة وتطورها عبر العصور من تلك الآراء والنظريات أن العرب لم تكن لهم نظريات فنية، كما لم تكن لديهم الأدوات والوسائل للإبداع في هذا المجال، ومن هنا قرر كثير من الباحثين أن العرب اعتمدوا على النظريات الفنية القديمة، واقتبسوا العناصر الفنية والمعمارية اليهودية والمسيحية فقلدوا المعابد والكنائس في كل عناصرها الفنية والمعمارية. وللرد على ذلك نقول: إن الفنون الإسلامية ارتبطت بالإسلام، ونشأت وتطورت من خلال نضوج العقلية الإسلامية التي احتضنت الفن الإسلامي، وأقامته.

أولا: نشأة الفنون في الحضارة الإسلامية

انبثق الفن الإسلامي منذ بدايته من العناصر المختلفة التي قدمتها البيئة للفنان المسلم، تلك العناصر المستمدة من العقيدة الإسلامية، ومن الخلفية الثقافية العربية التي قدمتها مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي قامت فيها الدولة الإسلامية، واستقر فيها المسلمون، وبزغ المجتمع الإسلامي يؤسس لحضارة جديدة، ارتبطت بمفاهيم جديدة، وارتبط الفن الإسلامي بنظرية التجريد، واعتمدها وسيلة أساسية للتعبير، وكانت تلك المادة الثرية التي قدمها الخط العربي والكتابة العربية أمام الفنان المسلم حينما بدأ في زخرفة المباني التي يقيمها في المدن والحواضر الإسلامية.

إن دراسة الفنون الإسلامية تستوجب النظر فيما قدمه العلماء والأثريون والباحثون من المسلمين وغير المسلمين لنقف على كافة الآراء التي قدمت في محاولات لفهم أصل تلك الفنون وعناصرها المختلفة وتطورها عبر العصور.

كذلك يعتبر الفن مظهرا آخر من مظاهر الثقافة، وكما وجدنا أثر العرب في العلوم، وجدنا أثرهم أيضا في الفنون وقد ترك الإسلام في فن العصور الوسطى ارنا هائلا مثل الذي تركه لنا العالم القديم؛ فالفن مرآة ناصعة للحضارة. ولذا يعكس الفن الإسلامي الروح العربية

وروح الشعوب التي دخلت الإسلام بحيث تعددت تسميته بالفن الإسلامي أو العربي أو الشرقي كما أن الفن الإسلامي كان أوسع الفنون انتشارا وأطولها عمرا – إلا إذا استثنينا الفن المصري القديم – فقد كان الفن الإسلامي يمتد من الهند إلى الأندلس واستمر باقيا طوال العصور الوسطى، وحتى العصر الحديث. وقبل مجيء الإسلام كان الفن السائد هو الفن المسيحي؛ لأن الفن الروماني كان آخر عهده في الشرق بالقرن الثالث الميلادي لتحول الشرق إلى المسيحية والفن المسيحي الذي وجده الإسلام كان يتجه معظمه إلى رسم الأشخاص المقدسين والصور الدينية المسيحية والذي نجده في الفن الإسلامي هو أنه في أول الأمر كان يجمع مع شخصيته أساليب فنية مسيحية، واستمر الحال على ذلك إلى أوائل عهد العباسيين. ولكن سرعان ما أخذ الفن الإسلامي يبتعد عن المؤثرات الخارجية بإسلام الشعوب المفتوحة، ويكون لنفسه شخصية تدل عليه؛ بحيث نستطيع أن نميزه؛ كما نميز الفن الفرعوني أو اليوناني.

ومنذ أول الأمر نجد الفن الإسلامي يرتبط أشد الارتباط بالدين؛ إذ الفن ولد في خدمة الدين. فمثلا بالنسبة للمسيحية ظل الفن قرونا يصور تاريخها وحوادثها، ولم يتحرر من أثر الدين إلا في عصر النهضة. كذلك بالنسبة للفن الإسلامي فإنه طبع بطابع الدين الإسلامي؛ فقد أصبحت آيات القرآن وسورة توضع على كل شيء على الأواني والحوائط والأسوار ولا ريب، فالفن الإسلامي – مثل سابقيه من الفنون الأخرى – يدرك صلة النفس بالكون.

ثم أنه أيضا في أول أمره يعتبر فنا غير شعبي يتبع الحكام، وكل عمل فني لا يكون إلا لهم. ولكن في القرنين الرابع والخامس الهجريين، نجد الفن الإسلامي بدأ يأخذ الصبغة الشعبية، وأصبحت بيوت الناس وما فيها من مظاهر فنية تدل على هذه الصبغة الشعبية. ومن ناحية أخرى لم يكن الفن الإسلامي يقتصر على ذاتية الفنان دون تأثير المجتمع، ولكنه أصبح في خدمة الجماعة عن طريق التأثير عليها، والوصول إلى غايتها.

كذلك تعددت الأساليب الفنية بانقسام وحدة المسلمين؛ فقد حدث تنافس شديد كان عاملا على انتشار الفن الإسلامي، بل فنون الإسلام. ومع ذلك؛ فإن روح الإسلام كانت توجد في كل بلاد الإسلام قالبا متجانسا.

كذلك الذي جعل الفن الإسلامي يبلغ غايته من الرق، هو أن الفنان المسلم كان يبذل غاية جهده في إخراج العمل الفني كما يجب، كما أن ظهور نظام النقابات أوجد نوعا من التفاني في الفن؛ بحيث وجدنا متخصصين في فروعه، ومدارس له تمثلت:

اللّغة: وقد تطورت اللغة العربية بعد الإسلام بما يتناسب مع الحياة الجديدة، فتطورت حروف اللغة العربية لكثرة استخدامها في الكتابة وانتشار اللغة العربية على نطاق واسع جنباً إلى جنب مع انتشار الإسلام بين الأعاجم، وأصبحت بذلك لغة عالمية بدلاً من كونها لغة محلية، وتطورت فنون الخطابة وبلاغة اللغة ومفرداتها لكثرة استخدامها في المساجد وساحات القتال، كما انتشرت المراسلات بين الخلفاء وقادة الفتح خارج الجزيرة العربية، وازدهرت الخطابة، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم خطيباً لتبليغ الإسلام. وخطب أبي بكر وعمر وعثمان وعلى عند توليهما الخلافة، وخطبوا في الجند قبل توديعهم إلى ساحات القتال. (يوسف، 2005، صفحة 235).

الشعر: وفي العصر الأموي، ظهر الموالي في المجتمع الإسلامي، وظهرت الفرق الإسلامية، وظهرت العصبية من جديد، واتخذ الأمويون من دمشق عاصمة لهم، فعاد الشعر العربي إلى الازدهار في الحجاز والعراق والشام وانحاز كل شاعر إلى قبيلته أو فرقته يدافع عنها. ومن هؤلاء الشعراء: الأخطل أبو مالك غياث بن غوث التغلبي النصراني (ت 93هـ) شاعر الأمويين ولسانهم في المدح والثناء علهم، والفرزدق أبو فراس همام بن غالب التميمي (ت 110هـ) ذو الميول العلوية في تأييده لهم ضد الأمويين، أبو حرزة جرير بن عطية الخطفي التميمي (ت 110هـ) المعارض في شعره للفرزدق وبينهما مساجلات شعرية طويلة تسمى النقائض في التفاخر بالأنساب والكميت بن زيد الأسدي شاعر العلويين ومعاذ بن جوين الطائي والطرماح بن حكيم، وقطري بن الفجاءة المازني شعراء الخوارج (يوسف، 2005، صفحة 237).

الحاجة إلى الخطابة: في صدر الإسلام في العصر الأموي، بما فيها من تهديد ووعيد أو ترغيب وتهذيب أو استنهاض الهمم بما تضمنت من اقتباس من آيات القرآن الكريم، ومن

هذه الخطب المشهورة خطبة الحجاج في أهل الكوفة عندما جاءهم أميراً عليهم، وخطبة زياد ابن أبيه وخطبة طارق بن زياد في جيشه بعدما عبر إلى الأندلس يحثهم على القتال والصمود (يوسف، 2005، صفحة 238).

كما ازدهر عصر الكتاب في العصر الأموي حيث الكتابة إلى عمال الدولة الإسلامية، ومن أشهر هؤلاء الكتاب: عبد الحميد الكاتب الذي كان كاتباً إلى الخليفة الأموي مروان بن محمد (آخر خلفاء الدولة الأموية وقتل على أيدي العباسيين سنة 132هـ).

الفنون الزخرفية (الخط): انفرد تعديل فؤاد إسماعيل بتخصيص الرقم 745.6191 لزخرفة الخط العربي، وقد كان هذا الرقم خالياً في النظام، ثم تابعه محمد عوض العايدي في تعديله للطبعة الحادية والعشرين بتخصيص أرقام أخرى لأشهر الخطوط العربية متفرعة من الرقم السابق، وهي على الوجه التالي:

745.61911 للخط الكوفي

745.61912 لخط الثلث

745.61913لخط النسخ

745.61914 للخط الفارسي

745.61915 للخط الديواني

745.61916 لخط الرقعة، (بخيت، 2012، صفحة 237).

الموشحات (بالفصحى): وهي التي يطلق عليها العرب طرب دور نسبة إلى المطربين الذين يتجولون في الأسواق والبيوت للتكسب بالشعر، فانتقلت هذه المهنة إلى الأوربيين وبقي اللفظ المستعمل لها في العربية Trobador في اللغة اللاتينية (يوسف، 2005، صفحة 424).

النحت: الذي بلغ الغاية وأربي. ولما كان الإسلام دين وحدانية يمنع نحت التماثيل، فنجد النحت الإسلامي اتجه إلى نحت الحروف أو صور النبات وهو ما عرف بالتوريق أو التفريعات الهندسية مثل المكعبات والمربعات ولا شك أن ذلك كان شبه ثورة على الفن الفاضح في النحت

اليوناني والروماني. وكان عند الفنان المسلم كراهية الفراغ فظهر التكرار وأصبح يدل على طابع الفن الإسلامي. وقد عرف الفنان المسلم النحت المقعر والنحت البارز ومع ذلك لم يمنع هذا من نحت الفنان المسلم لصور الحيوانات أو حتى الأشخاص وإن كان نحتهما عابرا في الفن الإسلامي. (ماجد، 2010، صفحة 218).

فن التصوير: للأشخاص أو للحيوان؛ فقد وجد في الإسلام وأن كان مشكوكا في تحريمه كما في النحت حقا أن النبي – صلى الله عليه وسلم أزال الصور من البيت حين فتح مكة؛ إلا أنه استخدم ومن بعده الخلفاء العملة وعليها الصور مما يدل على كراهية فقط، وليس تحريما. كذلك اختلف الفقهاء في مسألة الحل والتحريم، وأن اتفقوا بالأجماع على منع تصوير كل ما له ظل ووجوب ازالته ومع ذلك، أقبل الفنان المسلم على التصوير، حتى أننا وجدنا من يؤلف عن المصورين وطبقاتهم وقد جعلت كراهية التصوير الاستيحاء من الطبيعة قليلا فكان أغلب ما صور هو من صور الأدميين والحيوانات. كذلك ربما تحرج المسلمون من التصوير؛ مما جعل أغلب المصورين من أهل الذمة؛ فمثلا صورة صلاح الدين التي لدينا هي من تصوير القبط. ونحن لا نعرف كيف بدأ التصوير في الإسلام فيبدو أن ظهوره كان في عهد الأمويين الذين رسموا في عواصمهم الصحراوية كثيرا من الصور). وربما عرفوه عن طريق الصور التي وجدوها في الحمامات بحيث نجد المسلمين قد جروا هم أيضا على زخرفة حوائطها بالصور.

فلدينا **زخارف بالصور** الحمام في الفسطاط من عهد الفاطميين توجد بالمتحف القبطي المصري وقد شاع رسم الصور في الحمامات حتى أن الفقهاء حثوا على ازالتها؛ فقال ابن حنبل: " أن الإنسان إذا دخل الحمام ورأى فيه صورة فينبغي أن يحكها؛ فان لم يقدر خرج بل أصبح للمصورين مدارس مثل المدرسة البغدادية، أو مدرسة هراة بأفغانستان، ونقصد بها عددا من الصور ينتظمها أسلوب معين يميزها عن غيرها. وقد استهوت شخصيات المقامات – مثل مقامات الحريري – المصورين، ولدينا صور منها على الورق أو المخطوطات. كذلك يذكر المقريزي، أنه كانت في خزائن المعز لدين الله الفاطمي في مصر صور لكل ملوكالدول، وأن الأمر الفاطمي أقام في بركة الحبش – وهي استراحة له – رسوما صور له فيها عددا من

الشعراء، وكتب فوق كل صورة أبيات من شعر كل منهم في مدح الخليفة بل من العصر الفاطمي؛ نسمع عن مباريات بين المصورين؛ فنسمع عن اثنين أحدهما اسمه قصير والآخر اسمه عزيز تنافس كلاهما في رسم صورة راقصة في قوس. وبعد أن كان التصوير لا يجسر على تصوير حكام الإسلام أصبح يتجه أيضا لتصويرهم – دون الخلفاء: فمثلا لدينا صورة لصلاح الدين وصور السلاطين المماليك، وخلفاء آل عثمان على أساس أنهم من السلاطين. أما فن صناعة الخزف، فهي قديمة، ونستبعد أن تكون متأثرة بصناعة الخزف الصيني، وأن كان أصلها على العموم في الشرق، ولاسيما في مصر القديمة؛ وأصبحت تدل على تفنن الفنان المسلم.

ثانيا: الحرف والصناعات في الحضارة الإسلامية

فلدينا حالياً صناعات من خزف جميع العصور الإسلامية التي اتخذت أساليب مختلفة، ودخلها البريق، وتلون بألوان متعددة، وبلغ من لطفها أنه إذا وضعت يدك من الخارج، ظهرت من الداخل، ومن جمالها تباع بالوزن وقد كان ازدهار صناعة الخزف بسبب أن الإسلام يحرم اتخاذ الأواني من الذهب والفضة. ويتصل بصناعة الخزف صناعة الصيني، وهي الأخرى دخلتها الألوان، ووصلت صناعتها إلى درجة متقنة جداً، فنسمع بصناعة صحون صيني تبلغ في ارتفاعها قامة رجل، وأجاجين – وهي أواني لغسل الثياب – لها أرجل على صورة الوحوش ومرايا من الصيني، وازبار، وجماجم أي قوارير. (ماجد، 2010، صفحة 220).

كذلك تقدمت صناعة الزجاج، وهي قديمة؛ إذ من المؤكد أن أول معرفتها ظهرت في مصر ما قبل التاريخ وأن ازدهرت ازدهارا كبيرا على أيدي المسلمين. ومما ذكره المؤرخون المسلمون أنه كان يصنع بمصر زجاج شفاف عظيم النقاوة يشبه الزمرد كذلك دخلت صناعة الزجاج لأول مرة في عهد الفاطميين الزخرفة بالكتابة والرسوم، ويموه بالمينا وهي مادة كالزجاج. كما أن الزجاج المسمى الفسيفساء، وهو زجاج يستخدم في الزخرفة يكون ملونا مثل أصفر وأخضر وذهبي. ولدينا في متحف الآثار العربية مصابيح أو مشكاوات زجاجية مزخرفة على بعضها أسماء صناعها، مصورة بأنواع النبات والطيور.

ومن الفنون والصناعات الإسلامية صناعة التحف البلورية، وهذه على ما يظهر تقدمت تقدما كبيرا في القرن الرابع الهجري بحيث أنه في عهد الفاطميين خصصت لها خزانة خاصة تسمى خزانة البلور إذ البلور يوجد في مصر عند بحر القلزم (الأحمر)، أو أنهم يأتون به من المغرب. فقد كان البلور يخرج من أيدي صناعة في غاية الصفاء؛ فضلا عن أنه ينقش ويلون ووجدنا من خلفاء الفاطميين مثل العزيز من كانوا يتذوقون هذا الفن ويقدرونه؛ بحيث اعتبر هذا الخليفة خبيرا في هذه الصناعة.

كذلك تقدمت صناعة الرخام من تحف وغيرها، على طول العصور الإسلامية منذ عهد الأمويين، وهي من مختلف الألوان، تفننوا في ترتيبها.

وهناك صناعة المعادن والجواهر وهي لا تقف عند صنع الأواني والثريات والشمعدانات – يشهد بذلك ما يوجد منها في دار الآثار العربية – ولكن صنعوا منها تحفاً وزخرفوها بالحز – وهو أبسطها –أو بتنزيل الذهب والفضة والمعادن الثمينة، وذلك بإلصاقها أو تلبيسها وهو ما أطلق عليه التزميك أو التكفيت، أي التطعيم. وقد ذكر لنا المؤرخون وجود بعض التحف المعدنية بالقصر الفاطمي، ويبدو أنها كانت في غاية الروعة مثل: تمثال لطاووس من الذهب المرصع بنفس الجوهر وعيناه من الياقوت الأحمر، وريشة بالذهب على ألوان ريش الطواويس، وديك من الذهب ذي عرف كبير مفروق من الياقوت وغزال مرصع بنفيس الجوهر ذو بطن أبيض منظوم بالدر، وسفينة نيلية من الفضة وبستان من الفضة مزروع بأنواع الشجر كله من المعدن.

ويبدو أن القاهرة استمر لها أسلوب خاص في صنع النحاس الذي صنعوا منه تحفا مختلفة؛ بحيث أن ويبدو أي بيت أصبح لا يخلو من قطع نحاس مكفت منها الأباريق والمباخر والثريات والطاسات والمسارج والأواني والموائد وأن كان المقريزي يرى أن هذا الفن فقد قيمته أيام المماليك؛ بحيث أن من كانوا يعملون بها سموا العجم أو الأزميون. (ماجد، 2010، صفحة (220... 223) بالتصرف).

الصناعة النسيجية: لقد ورث العرب مصانع النسيج من الشعوب المغلوبة وشجعوا على بقائها وإقامة مصانع جديدة فسيطر العالم الإسلامي على تجارة الحرير التي كانت من أهم التجارة العالمية في العصور الوسطى حيث امتازت دمشق بأقمشتها الحريرية الفاخرة التي غزت أوروبا وعرفت باسم الدمقس وهناك الدمشقيات وهي أقمشة مشجرة وهناك الفستيان نسبة للفسطاط، والموسلين نسبة للموصل وهو من المنسوجات القطنية، وقد صنع ببغداد ثياب القز لا سيما العبداني والساماني الرفيع، أيضا المآزر والعمائم والمناديل والثياب القطنية البيض والخز والبز في البصرة، واشتهرت الكوفة بإنتاج الوشي الفاخر والمذهب وعمائم الخز والديباج التي كانت تصدر إلى اليمن والهند.

الصناعة المعدنية: اشتهرت صناعة السيوف في اليمن والعراق وخراسان، كما برزت الصناعات المعدنية من السلاسل والسكاكين والنصاب في العراق وفي مدينة نصيبين المحابر والمواقد، وفي مدينة حران صناعة الموازين والآلات.

صناعة الفخار: وهي صناعة قديمة حيث يتم صنع الأدوات والأواني المنزلية والمزهريات والقناديل للمساجد والقصور، وانتشرت فيمن المدن الإسلامية كبغداد والبصرة والكوفة، وانتقل إلى بغداد عديد من الصناع المهرة من البلاد المختلفة فازدهرت فيها صناعة الفخار والخزف منه الخزف ذي الألوان الجميلة الزاهية انتقلت هذه الصناعة إلى بلاد الشام ومنها دمشق، ومدن فارس وبلاد ما وراء النهر (سبحة، وجيجون والأندلس)، وقد تميزت مدن فارس بالخزف المعروف بالقاشاني، والمنسوب إلى مدينة قاشان.

صناعة البسط والسجاد والستائر: وهي صناعة عربية قديمة بلغت درجة عالية من الرقي والتطور، فاشتهرت واسط بصناعة السجاد والستور، وميسان بالبسط الفاخرة المنسوبة إليه، والستور الحريرية، وأنواع الفرش والأنماط والوسائد، وهناك السجاد المزين بخيوط الذهب والفضة، وأشهر أنواع البسط السنية صنع بأصفهان كما صنعت البسط بأرمينية وبخارى، ومن الضروري معرفة أن المسلمين ميزوا بين البسط وهي ما يفرش على الأرض، والنماط وهو ما يعلق للزينة والسجادة التي تستعمل للصلاة.

صناعة الصابون والعطور: ازدهرت صناعة الصابون في فلسطين ومنها نابلس، وهناك الصابون الرقي المنسوب للرقة، كما صنع في بلاد ما وراء النهر العديد من المدن منها بلخ وترمذ وأرجان، وصنعت العطور والأدهان في بلاد فارس والعراق والشام وأشهرها ماء البنفسج الذي صنع في البصرة ودهن البنفسج في دمشق، واختصت بخاري بدهن خاص بالرأس، وهناك دهن البلسان (البلسم) في مصر، وتميزت دمشق أيضا بصناعة الكثير من العطور لتوفر أنواع الورود بها فهناك الرياحين، وأزهار الأس والنيلوفر والياسمين، وكان بدمشق سوق يدعى العطارين.

صناعة الجلود: كانت شهرة مدن ما وراء لنهر وبخاصة بخارى والجرجانية بدباغة الجلود وهناك القلانس وجلود الفرو كجلود السمور والمسك والسنجاب والأرانب والثعالب، بخوارزم والسروج في مدينة الشاش، واشتهرت بغداد واليمن بصناعاتها الجلدية وكذلك مصر التي كانت تنتج الجلود الثخينة لحمل الماء، وفي المغرب هنالك جلود الفراء وغيره. (بودرواز 2024، صفحة 5).

صناعة الورق: كان الورق يصنع من نبات البردي واستمر استخدامه حتى العصر العباسي إلى أن تم نقل صناعة الورق من الصين وكان يسمى الكاغد – فكان أول مصنع للورق في بغداد عام 178هـ /793م واستخدم في الدواوين ثم انتقلت صناعتين لدمشق ثم إلى مصر، وقد نقلت هذه الصناعة إلى أوروبا عن طريق الأندلس في القرن السادس الهجري وأطلق الأوروبيون عليها اسم (الصحائف الدمشقية).

الصناعة الخشبية: استخدم الخشب في صناعة المناضد والكراسي والأبواب والسقوف والأثاث المنزلي والمساجد، وقد تعددت أنواع الأخشاب منها الصندل والصنوبر والسرو والأرز، كما أضافوا لها مواد أخرى كالعاج والقصدير والأبانوس والخشب الأحمر وغيره، وهناك صناعات أخرى اشتهر بها العالم الإسلامي منها صناعة المجوهرات والحلي ومنها الخواتم والأطواق والخلاخيل، أيضا الصناعات الغذائية كالدبس والسكر والأجبان والألبان وتجفيف الفواكه إضافة للصناعات الدوائية وغيرها.

المحاضرة الرابعة عشر:

أثر الحضارة الإسلامية وإسهامات علمائها في الثقافة الأوروبية

الهدف من الدرس:

سيتمكن الطلبة من التعرف على:

- كيف أثرت الحضارة الإسلامية في تطوير العلوم الطبيعية مثل الطب، الفلك، والرياضيات في أوروبا.
- دور الحضارة الإسلامية في تطوير الفلسفة والمنطق في أوروبا.
- كيف أثرت الحضارة الإسلامية في الفنون والعمارة الأوروبية.
- أبرز الشخصيات العلمية الإسلامية التي كان لها تأثير مباشر على النهضة الأوروبية.

تمهيد:

شغلت الحضارة العربية دورا مهما في النهضة الأوربية، إذ يمكن القول إن النهضة الأوروبية الحديثة ظهرت امتدادًا للنهضة العربية الإسلامية. وقد كان للحضارة الإسلامية عدة معابر مرت بها إلى أوروبا ومن أهمها كانت الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا، كما شغلت الحروب الفرنجية دورا مهما كجسر لانتقال العلوم العربية إلى أوروبا.

_ معابر انتقال الحضارة الإسلامية نحو أوروبا

أخذت حضارة المسلمين تتسرب إلى أوروبا عبر صقلية وعبر الأندلس مرورا ببلاد المغرب، وكذا عن طريق بلاد الشام والقسطنطينية عبر الحروب الصليبية وأخذ طلاب العلم في أوروبا ينهلون من الجامعات الإسلامية منذ نهاية القرن 11م، وباختصار: فقد كان المسلمون سببا في ظهور "عصر النهضة" في أوروبا.

يقصد بـ "عصر النهضة" تلك الحركة الثقافية الكبرى التي بدأت في إيطاليا أوائل القرن 14 م، ثمانتشرت في أواخر القرن 15م في كل من إنجلترا وفرنسا وألمانيا ... وغيرها، لتنتهي في القرن 17م.

كان للمسلمين إسهامات جمة في ثقافة أوروبا. فقد احتفظوا بمخطوطات الإغريق التي غدت في متناول يد علماء أوروبا. ففي بحثه عن أثر الثقافة الإسلامية في الغرب المسيحي، يقول الكاتب ت. كولريونج: إنالدين الثقافي العظيم الذي ندين به للإسلام منذ أن كنا نحن المسيحيين، داخل هذه الألف سنة، نسافر إلى العواصم الإسلامية، وإلى المعلمين المسلمين ندرس عليهم الفنون والعلوم وفلسفة الحياة الإنسانية يجب التذكير به دوما. وفي جملة تراثنا الكلاسيكي الذي قام الإسلام على رعايته خير قيام حتى استطاعت أوروبا مرة أخرى، أن تتفهمه وترعاه. هذا كله يجب أن يمازج الروح التي نتجه بها نحن المسيحيين – نحو الإسلام، نحمل إليه هدايانا الثقافية والروحية، فلنذهب إليه إذا – في شعور بالمساواة نؤدي إليه الدين القديم ولن نتجاوز حدود العدالة إذا نحن أدينا ما علينا بريحه ولكننا سنكون مسيحيين حقا إذا

نحن تناسينا شروط التبادل، وأعطينا في حب واعتراف بالجميل. (النايف 2018، صفحة 159).

ومعروف أنه خلال عصر النهضة عكف علماء أوروبا ايطاليون خاصة على دراسة ثقافتي اليونان والرومان، راغبين في بعث روح هاتين الثقافتين المعروفتين بـ "التراث الكلاسيكي" في أعمالهم الأدبية والفلسفية. وكان العرب قد أولوا اهتماما بالثقافتين الإغريقية والرومانية وخاصة العلوم، وكانت مثل هذه المعارف قد بانت مفقودة في أوروبا. لذا كان إسهام العرب كبيرا في نقل أغلب انجازات الإغريق والرومان وما أضافوه من مخترعات وعلوم هو أساس نهضة في أوروبا وكان عصر النهضة بَعْثاً لهذه الثقافات ولذا يعرف بأنه إحياء للعصور القديمة (إحياء للمعرفة). (مرزوقي، 2022، صفحة 24).

ومع أن دراسة "اللاهوت" (علم العقائد النصرانية) كانت في العصور الوسطى أكثر فروع المعرفة أهمية، إلا أن عددا كبيرا من مفكري عصر النهضة أعاروا اهتماما أكبر للدراسات الإنسانية ومحصوا الانجازات الكبرى للثقافات المختلفة، وبخاصة ثقافتي اليونان والرومان. وتأملوا طويلا مؤلفات العرب وشروحهم على عصر النهضة الأوربية، وبسبب تركيز الأوروبيين على علم اللاهوت ونفور الكنيسة من التطلع لمعرفة علوم اليونان والنهل منها، لم يعرف الأوربيون النهضة إلا بعد أن وطّد لها العرب الذين حازوا قصب السبق في التعرف على علوم الإغريق والرومان ثم الزيادة علها لاحقا.

وفي الوقت الذي سعى فيه المسلمون إلى إحياء تراث اليونان كانت الكنيسة في الغرب تعتبر تلك العلوم تمثل حضارة الكفار غير المسيحيين؛ لذا كانت ترجمة العربية لهذا التراث عملية إنقاذ لكنوز حضارة مُهددة بالفناء، لأن العالم المسيحي، مهد تلك الحضارة، اضمحل قسمه الغربي تحت ضربات البرابرة الذين نهبوا روما عدا ما جمعه بعض الرهبان من تلك العلوم إلا أن أفاقهم الفكرية كانت محدودة لأن هَمَّهم كان محصورا بالآخرة. كما أن بيزنطة، وريثة العالم الإغريقي الروماني كانت متقوقعة على نفسها، بالرغم من اطلاع اللاتين على بعض التراث الهلنستي الذي حفظته مكتبات القسطنطينية.

وفي ظرف كانت فيه أوروبا ضعيفة علميا وفكريا، ظهر العالم الإسلامي كقوة متماسكة ملأت الفراغ الذي خلفه انقسام العالم المسيحي وما نجم عنه من ظهور كابوسين مُرعبين هما؛ التعصب والجهل. لذا التفتت الكنيسة لتجد لهما حلاً لدى العرب بشنّ الحروب الصليبية على المشرق من جهة، وبالتفتيش على مناهل المعرفة لدى عرب المغرب في اسبانيا وصقلية من جهة ثانية وفي الوقت الذي كان فيه الصليبيون يقتلون الآمنين في المشرق، كان العلماء الغربيون يترجمون إلى اللاتينية علوم العرب في مكتبات طليطلة. وقد اشتهر منهم "جيربير دو اوربلاك" وقُسطنطين الإفريقي الذي نقل للعالم المسيحي (لاتينية) كتاب كامل الصناعة الطبية لعلي بن العباس (الملقب بـ (المجوسي) وزاد المسافر لابن الجزار لذا، فالعالم الغربي مدين لقُسْطَطِين الإفريقي بتوجيه أنظار أوروبا، التي كانت متأخرة فكريا، إلى كنوز المشرق.

وكان الأسقف "ريمون" (Raymond) قد حوّل مدينة طليطلة، في القرنين 12 و13 الميلاديين، إلى منارة لترجمة علوم العرب فترجم "جان" دو سيفيل" كتاب "الروح" لابن سينا وكتاب "الأشكال" لثابت بن قرة. وترجم دومينيك غوندي سالفي D. Gundissalvi كتبا لفلاسفة العرب مثل ابن سينا والفارابي والغزالي وترجم أفلاطون دو تيفولي Platon de Tivoli كتبا للبناني طبعت في مدن أوربية كثيرة على أن أشهر المترجمين هو جيراردو كريموني de CremonaG. الذي ترجم لوحده 71 كتابا في مختلف علوم العرب، فكان ما ترجمه ثروة علمية ضخمة انتقلت إلى أوروبا وأسهمت في تكوين أجيال من العلماء في جامعاتها. ومع أن ما تم انجازه في ظليْطِلة لا يُقارن بما أنتجه المشرق العربي لكنه أفاد العالم نظرا لتعطش الغرب للمعرفة، فدوّن العرب لم يكن عصر النهضة ليرى النور (مرزوقي، 2022، صفحة 25).

إن الحضارة الأوروبية مدينة بالشيء الكثير لعلوم المسلمين ومناهجهم التي اطلعوا عليها عن طريق ترجمة ودراسة التراث العلمي والفلسفي خاصة في القرن 13م عن طريق الأندلس، فكانت فترة القرون الثلاثة التالية مرحلة تفاعل داخلي مكن أوروبا من هضم المعرفة الإسلامية والتحكم في مناهجها، وهذا ما أكسها مناعة حضارية سمحت لها فيما بعد، بتجاوز تراث المسلمين النظري والعملي ومن الانهار بحجم تأثير الثقافة العربية الإسلامية في النهضة

الأوروبية. وفي الثقافة والعلوم الأوروبيين، جعل مفكرة ألمانية تصدع بهذه الحقيقة بقولها: "إن تلك الحضارة الزاهرة التي غمرت بأشعتها أوروبا عدة قرون تجعلنا نعجب أشد العجب؛ إذ هي لم تكن امتدادا حضاريا لبقايا حضارات غابرة، أو لهياكل حضارية محلية على قدر من الأهمية، أو أخذا النمط حضاري موجود، أو تقليدًا بنسج على منواله المعهود، كما نعرف في الأقطار الأخرى، مهد الحضارات في الشرق. إن العرب بثقافتهم هم الذين أبدعوا هذه الروعة الحضارية إبداعا. (النايف، 2018، صفحة 160)، ومن الجائز القول أنّه من طليطلة، التي شهدت ترجمة علوم المسلمين إلى اللاتينية، انتشرت معارف العرب في كامل أوروبا.

لقد كان طريق الثقافة يبدأ في نهاية القرن 13م من طليطلة ويقطع جبال البيرينيه والألب ليبلغ اللورين وألمانيا وأوروبا الوسطى ثم إنجلترا. فعلوم العرب التي دخلت اللورين في القرن 10م، جعلت من هذه المنطقة مركزا للنفوذ العلمي في القرنين القادمين بحيث باتت مدن ألمانيا وفرنسا وبلجيكا أرضا خصبة لنمو معارف العرب. وهكذا فقد انتشرت ثقافة العرب الآتية من اسبانيا وصقلية في كل أنحاء أوروبا (مرزوقي، 2022، صفحة 26).

كان دور الحروب الصليبية في نقل التراث العلمي العربي ضئيلا إذ لم يكترث الصليبيون باقتباس علوم العرب ولم يُعرف بأنهم أنجبوا أي عالم عدا "وليم الصوري". إن كل ما نقله الصليبيون من العربية إلى اللاتينية لا يتعدى ترجمة كتاب "كامل الصناعة الطبية" لـ: علي بن عباس، وإن جُل ما اكتسبوه من الحضارة الإسلامية، هو إنشاء المشافي وبيوت العزل والمحاجر الصحية، التي كانت النموذج الذي قلده الغربيون عند إنشاء المشافي في أوربا. (مرزوقي، 2022، صفحة 26).

وعلى أية حال، فإن تحاشي العرب العيوب التي وردت في كتب أساتذتهم الإغريق، كان سببا في إقبال الأوروبيين على ترجمة علوم الطب العربية؛ إذ وضع العرب كتبا جامعة مرتبة متسلسلة مختصرة يغني الواحد منها عن مجموعات كثيرة من كتب الأولين ومنها كتب الكامل في الطب (الملكي) والقانون والتصريف وزاد المسافر... وغيرها والتي شهد مؤرخ الطب م. نيوبيرجر Max Neuberger بفضلها على طلاب أوروبا في القرون الوسطى، معترفا بأن

العرب قدموا العلوم للأوربيين في أشكال سهلة وصاغوا من لغتهم الحية تعابير علمية مثالية. ولذا لم يكونوا مجرد نقلة لعلوم الإغريق، بل كانت لهم علومهم التي تتميز بالأصالة والإبداع. (الشطي 2023 الحضارة العربية الإسلامية وعموما، فإن انسام كتب العرب بالوضوح والترتيب حبب أوروبا لمضامينها وجعلها تنقلها إلى لغاتها فلا غرابة أن يظل بعضها كتبا مدرسية بين أيدي طلاب أوروبا قرونا كالقسم الخاص بالجراحة من كتاب التصريف للزهراوي (طبع في البندقية 1497م وفي بال 1541م وفي اكسفورد (1778م). (مرزوقي، مدخل إلى تاريخ الحضارة الإسلامية، 2022، صفحة 26).

ومنه قال البروفسور إدوار بروي أستاذ تاريخ الحضارات في جامعة السوربون في باريس: " ظهر الإسلام كالشهاب الساطع، فحير العقول بفتوحاته السريعة، وباتساع رقعة الإمبراطورية الجديدة التي أنشأها نحن أمام شعب كان بالأمس الغابر مجهول الاسم مغمور الذكر، فإذا هو يتحد في بوتقة الإسلام (الدين) (الجديد الذي انطلق من الجزيرة العربية فاكتسحت جيوشه في بضع سنوات الدولة الساسانية (الفرس) وهدت منها الأركان، ورفرفت بنوده فوق الولايات التابعة للإمبراطورية البيزنطية في آسيا وإفريقيا، ولم تلبث جيوشه بعد قليل أن استولت على معظم إسبانيا وصقلية، وأن تقتطع أمدًا من الزمن يقصر أو يطول – بعض المقاطعات الواقعة في غربي أوروبا وفي جنوبها وانجلى غبار الفتح عن إمبراطورية جديدة لا أوسع، وعن حضارة ولا أسطع، وعن مدنية ولا أروع، عوّل عليه الغرب في تطوره الصاعد ورقيه البناء، بعد أن نفخ الإسلام في قسم موات من التراث الإنساني القديم) روحا جديدة عادت معه الحياة، فنبض وأشع وأسرى، ولهذه الأسباب مجتمعة كان لابد لرجل وان يحتل تاريخ العالم الإسلامي، محلا مرموقا في ثقافة رجل العصر" . (النايف، 2018، صفحة 161).

	على هذا العلم اسم علم الصنعة ومن إسهامات العرب والمسلمين في هذا المجال اكتشافاتهم لكثير من المركبات الكيماوية التي بنيت عليها الكيمياء الحديثة كالكحل، وزيت الزاج (حامض الكبريت)، وماء الفضة (حامض النتريك) وماء الذهب حامض النتروهيدروكلوريك)، والبوتاس وروح النشادر وملحه، وملح البارود (نترات البوتاس)، والزاج الأخضر (كبريتات الحديد) والزرنيخ السليماني (كلوريد الزئبق) وغيرها.	التجربة العلمية. ويعد من الرواد الأوائل في علم الكيمياء، فقد كتب بعض الرسائل المهمة فيها إذ ألف أكثر من مئتي كتاب في الطب والكيمياء والهندسة والمنطق ومن أشهرها كتاب الحاوي الذي ظل المرجع الوحيد المعترف به في جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر، وكتاب "سر" "الأسرار" الذي ترجم إلى اللغات الأخرى. واحتوى على تلخيص الكيمياء من الرمزية والغموض وقد عرف الأوروبيون عن الرازي تقسيم الكيمياء إلى نباتية وحيوانية ومعدنية وتقسيم المعدنية إلى أدق تقسيم عرفته العصور الوسطى.

الفلسفة والأدب	من أبرز إسهامات الفلسفة الإسلامية والعربية في النهضة الأوروبية أنها دفعت أهلها إلى العناية بالبحث والتجربة والاتجاه نحو الطبيعة وإطلاق التفكير والتحرر من قيود الكنيسة والاتصال بالثقافات الأجنبية وخصوصا اليونانية. أما أثر الأدب العربي فقد بدا واضحا في الشعر الغنائي الإسباني والفرنسي الذي قلد فيه الشعراء والمغنون نماذج الزجالين والوشاحين الأندلسيين فظهر ما يسمى بشعراء التروبادور، الذي تطور على أيدي الشعراء الذين رافقوا الحملات الفرنجية إلى الشرق والذين تأثروا بوضوح بكتاب طوق الحمامة لابن حزم القرطبي.	انتقلت الفلسفة الإسلامية العربية بخصائصها إلى أوروبا التي تأثرت بها بمفكريها ولا سيما الكندي الذي ترجمت له أربع رسائل من كتبه، والفارابي الذي ترجم من كتبه إحصاء العلوم" و "مقالة" في العقل وابن سينا الذي ترجمت موسوعته الفلسفية "الشفاء" وبعض المؤلفات الأخرى والغزالي الذي ترجم له مقاصد الفلاسفة" و"تهافت الفلاسفة". ولا ننسى في هذا المجال التحدث عن تأثير الفيلسوف العربي العظيم ابن رشد وهو تأثير لا يجاريه فيه أي فيلسوف عربي آخر فقد ظهرت مدرسة رشدية قوية جدا وتوافر لها أنصار في أوروبا وأتباع أكثر من قرنين

	ومن الثابت أن دانتي الشاعر الإيطالي كان قد استمد معظم أفكاره في الكوميديا الإلهية من مصادر إسلامية كرسالة الغفران لأبي العلاء المعري، والفتوحات المكية لابن عربي.	من الزمن. بدأت حركة الرشدية اللاتينية (أي أتباع ابن رشد من الأوروبيين)، منذ أن ترجم ميخائيل أسكوت شروح ابن رشد على مؤلفات أرسطو في الحقبة بين 1228 و1235م. ويعد ابن خلدون (1342-1406) بمقدمته ومتن تاريخه مؤرخا للحضارة وواضعا لأسس ما يمكن تسميته بعلم الاجتماع البشري واستمرارا لخط المسعودي وصاعد الأندلسي يتفحص ابن خلدون تاريخ الروم واليونان والفرنجة وتطور أحوالهم.
الجغرافيا والملاحة البحرية	اشتهر العرب والمسلمون بحبهم الشديد للسياحة والرحلات فطافوا البلاد من الصين شرقا إلى مجاهل إفريقية غربا، وأقاموا	ومن طلائع الرواد الرحالة العرب الذين اشتهروا برحلاتهم المسعودي الذي قضى خمسا وعشرين عاما من حياته في الطواف في

	علاقات تجارية واسعة مع بلاد لم يسمع بها الأوروبيون بعد وقد كان لهذه الرحلات أثرها البالغ في الإسهام في الكشف عن طريق رأس الرجاء الصالح والوصول إلى جزر الهند الشرقية، ولولا مساعدة العرب عن طريق اكتشاف البوصلة وخطوط الطول والعرض لعجز الأوروبيون عن الوصول إلى القارة الأمريكية وغيرها. وقد اهتم العرب والمسلمون بعلم الجغرافية وكتبوا فيه العديد من المؤلفات ورسموا الخرائط التي اعتمد عليها الأوروبيون كثيرا. وإذا كان لعلماء اليونان سبق في مجال الجغرافية، فإن العرب والمسلمين هم الذين حفظوا معارفه ودرسوها، وصححوا ما نقلوه	البلاد الإسلامية والبلاد المجاورة لها كبلاد الهند وكتب ما شاهده في مؤلفاته التي يعد من أشهرها كتاب " مروج الذهب ومعادن الجوهر". ومهم أيضا الرحالة العربي ابن بطوطة الذي بدأ رحلاته من مدينة طنجة وطاف في جميع أنحاء العالم القديم، وكتب رحلته وقد ترجمت إلى أكثر من لغة وطبعت في باريس ولندن ومصر. ومن أبرز علماء الجغرافية العرب: ياقوت الحموي صاحب كتاب"معجم البلدان" وهو معجم وموسوعة جغرافية كبيرة إلى جانب ما فيه من معارف أدبية وتاريخية عظيمة. أما الإدريسي صاحب كتاب "نزهة المشتاق" في اختراق

	عنهم، وأضافوا إليه كثيرا مما لم يعرفه اليونانيون أو غيرهم وقد ترجم تراث العرب في الجغرافية إلى اللاتينية في العصور الوسطى، فهم أصحاب الفضل في معرفة المعلومات اليونانية في الجغرافية إذ لم تعرفها أوروبا إلا عن طريق الكتب العربية.	الأفاق فقد دون كتابه مما استمده من كتب الجغرافيين والرحالة المسلمين، ومما دونه نتيجة لرحلات قام بها هو شخصيا. ومما أخذه الأوروبيون عن العرب في علوم الملاحة هبوب الرياح الموسمية في المحيط الهندي في اتجاهين مختلفين في موسمي الصيف والشتاء. أما البوصلة فقد طورت على أيدي العرب إذ أخذها الصينيون عنهم في بداية القرن الثاني عشر.

المصدر: (الكافي، 2021) (صالحي، 2023) (مرزوقي، 2022) (النايف، 2018) بتصرف.

المحاضرة الخامسة عشر:

تراجم لأشهر العلماء المسلمين في العلوم العقلية.

الهدف من الدرس:

سيتمكن الطلبة من التعرف على:

- **معرفة أهم الشخصيات العلمية الإسلامية ومجالات تأثيرها على الغرب الأوربي.**
- **ترجمة لأهم العلماء المؤثرين في التخصصات العقلية والنقلية.**
- **أهم التأثيرات العلمية والمعرفية لعلماء المسلمين على الغرب الأوربي.**

تمهيد:

تأثرت النهضة الأوروبية الحديثة بمنجزات الحضارة العربية الإسلامية، رغم أن مجالات الحياة العلمية والثقافية معقّدة ومتشابكة منذ. لكن التأثير كان واضحا في علوم الرياضيات والفلك وفي علوم الطب والصيدلة وفي الأدب والفلسفة، فكل الأمم اليوم تستخدم الأرقام التي تعلّمها الجميع عن العرب، ولا زالت الجامعات الأوروبية العريقة تدرِّس مختلف العلوم المترجمة عن المسلمين.

1_ استخدام المنهج العلمي:

لقد استخدم العرب المسلمون المنهج العلمي في بحوثهم، فها هو جابر بن حيان الأزدي (123-184هـ/740-800م) قال في مقام ذلك: " إنا نذكر في هذه الكتب خواص ما رأيناه بعد أن امتحنّاه وجرّبناه، فما صحّ أوردناه وما بطل رفضناه، وما استخرجناه نحن أيضا وقايسناه على أحوال هؤلاء القوم"(ابن حيان جابر، i+99+ii كوديكس، الورقة 08)، ومن أسباب ودوافع البحث العلمي عند الخوارزمي كشف أسرار العلم وغوامضه ليقدم ما يلزم الناس من الحاجة، وقد وصف الفيلسوف باكومه جابر بن حيان بأنه أول من علم العالم الكيمياء وكانت خطوات البحث العلمي عند جابر: تحديد الغرض من التجربة وإعداد الوقت الكافي لها واختيار الزمان المناسب لها، وإيحاء المشاهدات من فرضيات يفرضها واستنباط النتائج من الفرضيات، وتطبيق النتائج والتحذير من الملل، والدعوة إلى الصبر والمثابرة.

ابن البيطار:

ومن العلماء العرب المسلمين الذين أثروا في الحضارة الأوربية ابن البيطار صاحب كتاب "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" الذي ترجم إلى اللاتينية والفرنسية والألمانية واعتمد عليه علماء الغرب وأخذوا عنه الكثير، وهناك ابن العوام صاحب كتاب "الفلاحة" الذي ترجم كتابه في أوروبا سنة 1802، وهناك ثابت بن قرّة الذي أخذ العالم الايطالي جيرو لاموكاردان (القرن16م) عن طريقته المبتكرة في حلّ المعادلات التكعيبية.

وقد عرف العرب صناعة الورق في الأندلس، ومنها انتقلت إلى إيطاليا وألمانيا في القرن الرابع عشر الميلادي، وبعدها ظهرت في فرنسا وبريطانيا وقد قدم الأوروبيون إلى إسبانيا لتعلّم الصناعة على يد المسلمين، فتعلموا صناعة الزجاج والورق والسكّر ونقلوها إلى بلادهم (موسوعة الحضارة الإسلامية، 1993، صفحة 445-446).

يقول سيد أمير علي إن الكنوز الأدبية العظيمة التي أوجدها العرب المسلمون، وكانت نتاج نبوغهم العلمي واختراعاتهم الثمينة لتنهض دليلا على نشاطهم الفكري، وتؤيد الرأي القائل إن العرب هم أساتذة أوروبا في كل شيء، أو أنهم زودوها بمواد جليلة القيمة في تاريخ العصور الوسطى، وتركوا فنا معماريا آية في الروعة والجمال واكتشافات هامة في الفنون والصناعات (أمير علي سيد، 2022، صفحة 82).

الحسن بن الهيثم:

ومن العلماء العرب المسلمين الذين أثروا في أوروبا الحسن بن الهيثم الذي كان مستقلا فكريا، وله أسلوب علمي في البحث يعتمد على المشاهدة والتجربة التي تتفق نتائجها مع الواقع الملموس للمشاهدة والاختبار، وأخذ أساس الاستقراء والقياس وقدم القياس على الاستقراء وحدد غرضه بطلب الحقيقة، وهو يرى أن يبدأ العلم بالشك حتى توصله التجربة إلى الحقيقة (اليقين). وقد توصل في كتابه (المناظر) إلى بحوث رفيعة في الضوء وتشريح العين وكيفية تكوين الصور على شبكية العين استفاد منها كبار علماء أوروبا، مثل روجر بيكون وكبلر ونسبوها لأنفسهم (ابن الهيثم،1983، صفحة 134.).

لقد أدت جهود العرب إلى بعث الآداب والفنون في أوروبا، وأصبح للعلوم الإسلامية أثرها في الفكر الأوروبي حينما انتقل التعليم من الأديرة إلى الجامعات، وهكذا انتشرت العلوم الإسلامية في أوروبا وأثرت في الفكر الأوروبي، فقد عمل الإدريسي لروجر كرة أرضية من الفضة رسم عليها العالم ببره وبحره وجباله وسهوله وأنهاره وخيراته ومدنه وممالكه، كما حقق العرب قدرا كبيرا من التقدم الطبي ما بين القرن الثامن والقرن الخامس عشر ميلادي، واستوعبوا كل العلوم.

جابر بن حيان:

كان أسلوب جابر بن حيان في البحث العلمي يبدأ بالفرضية ثم التجربة ثم النتائج التي قد ترفض أو تقبل الفرضية، باستجابة النتائج على الظاهرة نفسها تؤدي إلى قانون علمي وهذا ما اصطلح عليه رجال المنطق بالاستقراء والاستنباط.

وقد ترجمت كتب عديدة من أصل عربي كانت أثر في الآداب العالمية مثل كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة ورسالة الغفران للمعري التي اعتمد عليها دانتي 1265–1320م في كتابه الكوميديا الالهية، واعتمد بوكاشيو الايطالي 1375–1313م في كتابه الديكاميرون على ألف ليلة وليلة، كما اعتمد ترفنتس الاسباني 1547–1616 الذي قضى جزءا من حياته في الجزائر في كتابه دون كيشوت على وثائق عربية، ويمتلئ هذا الكتاب بتعابير وأمثال عربية وتأثر شكسبير بحكايات الشرق في روايته روميو وجولييت.

وتأثر الشاعر الانجليزي تشوسر في قصصه بكليلة ودمنة، وتأثر فولتير بقصة ألف ليلة وليلة وسورة الكهف، وتأثر الشاعر الألماني جوته بالإسلام وله رأي في شعر العرب وقصة روبنسن كروزو لدانويل ديغو مأخوذة عن حي بن يقظان (أحمد حامد المجالدي، هايل خليفة الدهيسات، 2012، صفحة 124).

أبو بكر الرازي:

وقد تأثرت الدراسات الطبية الأوروبية إلى حد بعيد بالدراسات العربية ، فقد كان كتاب "الحاوي" للرازي المرجع الوحيد الذي اعترف به في جامعات أوروبا ، وقد حفظ العرب تراث اليونان والرومان حين فرط به الأوروبيون، وهم أول من قال بكروية الأرض قبل أن يثبت الأوروبيون ذلك بزمن طويل وبعثوا فلسفة اليونان من جديد وكان لجابر بن حيان اليد الأولى في نشأة علم الكيمياء فقد ترجم الأوروبيون كتب الكيمياء العربية إلى اللاتينية وجابر ابن حيان هو الذي نظم كثيرا من طرق البحث والتحليل ، وركب عددا من المواد الكيميائية وكانت بحوثه هي المراجع الأولى في أوروبا حتى القرن الثامن عشر (أحمد حامد المجالدي، هايل خليفة الدهيسات، 2012 ، صفحة 126).

2_ علم الجبر:

كان العرب هم أول من أطلق علم الجبر على هذا العلم وعنهم أخذ الافرنج، وكان الخوارزمي أول من ألف فيه "الجبر والمقابلة " في عهد المأمون، وعرفوا المعادلات الجبرية وحلوا المعادلات من الدرجة الثانية بطرق هندسية، ووضعوا حلولا جبرية وهندسية لمعادلات ابتدعوها.

3_ علم الفلك:

وقد تقدم علم الفلك عند العرب المسلمين لأمور دينية فأوقات الصلاة تختلف بحسب الموقع ومعرفة عرض الموقع الجغرافي وحركة الشمس في البروج وأحوال الشفق وهلال رمضان، ولقد حدث امتزاج واحتكاك بين العرب والمسلمين وبين الأوروبيين على نطاق واسع في الأندلس وصقلية ، فظهرت أجيال من المولدين والمستعربين تشبعوا بالثقافة العربية وبدؤوا بنقل الحضارة والإنجازات العلمية العربية الإسلامية ومن حسن حظ أوروبا أن ابتكار الطباعة أدى إلى ازدياد حركة النقل من العربية إلى أوروبا ، وهكذا قام العرب بدورهم في النهضة العلمية وقدموا لأوروبا زاد نهضتها ، وكانوا كما قال نهرو آباء العلم الحديث (المجالدي أحمد حامد، الدهيسات هايل خليفة، 2012، صفحة 201).

4- فن العمارة الإسلامية :

لقد اقتبس الأوروبيون فن العمارة الإسلامية واستفادوا منها في بناء الجامعات القديمة في انجلترا، أما فرنسا فقد تأثرت بالفن المعماري العربي، كما اكتشف العرب أمريكا قبل كولمبس بقرون عدّة، حيث وجدت نقود أندلسية على الشواطئ الأمريكية، فالحضارة العربية الإسلامية أسهمت بنصيب وافر في تقدم أوروبا خاصة والإنسانية عامة (الفاروقي،1999، صفحة 433).

5- تأثير بلاد الأندلس على الغرب:

لم تستيقظ أوروبا إلا على علوم العرب وآدابهم وآثارهم فحضارة العرب شعت في صقلية والأندلس ومنها انطلق الإشعاع إلى أنحاء أوروبا فقد نشطت حركة الترجمة والنقل في صقلية واسبانيا بحكم اتصال هذين البلدين بالعرب وتمرسهم بثقافاتهم وأفكارهم وأخذت هذه الأفكار

تتسرب إلى أوروبا ابتداء من القرن الحادي عشر وتسابق الرجال ذوو العقول النيرة إلى بلرم وطليطلة لتعلم اللغة العربية ودراسة العلوم العربية.

لقد ترجم الكثير من الكتب الطبية فترجم بارافاكي كتاب التيسير للزهراوي سنة 1281م، وطبع طبعات عدة وفي الوقت الذي كان العرب فيه يمارسون الجراحة للماء الأزرق في العين كانت مقررات الجراحة ممنوعة في الغرب حتى عام 1163م، وقد دخلت المناهج بعد أن توافرت لديهم تراجم الكتب الطبية العربية وبعد خبرة عملية عن الطب الإسلامي إلى جانب التدريب العملي في المستشفيات وكانت المدارس العربية في مراكز يقصدها طلبة العلم من كل أنحاء العالم فأوروبا مدينة للعرب في الحقل العلمي.

6_ الفلسفة:

إن تأثير الفلاسفة العرب والمسلمين (الكندي والفارابي وابن سينا وابن طفيل وابن رشد) تجاوز النطاق العربي الإسلامي ليمتد إلى أوروبا فيؤدي إلى عصر التنوير فالنهضة في ايطاليا وألمانيا وفرنسا برزت بفضل اتصالها بالحضارة العربية والفكر الفلسفي الإسلامي وقد بدا تحرر أوروبا ونهضتها بالتماسهم منهج الاستقراء التجريبي الذي أخذوه عن الفكر العربي الإسلامي. وتأثر شعراء أوروبا بالأدب العربي وتأثرت القصص الأوروبية بالقصص العربية نتيجة ترجمة الروايات العربية إلى الايطالية والفرنسية والألمانية والانجليزية.

واستفاد الأوروبيون من علم النبات عند العرب والمسلمين فقد وصف ابن سينا في كتابه القانون (الجزء الثاني) دراسة النباتات ووصف 400 نبات واعتمد في وصفه للنباتات على الطبيعة.

ونقل الأوروبيون عن العرب منهجهم في الطب كان العرب المسلمون أول من عقد الامتحانات لممارسة الطب وأول من استخدم الإبر تحت الجلد للتخدير وقاموا بربط الشرايين كما فعل الزهراوي (المجالدي أحمد حامد، الدهيسات هايل خليفة، 2012، صفحة 133).

كما تأثر الأوروبيون بعلم الجغرافيا عند العرب والمسلمين حيث تحدث المسعودي عن الرياح الموسمية في المحيط الهندي ومواعيد هبوبها وأثرها في الملاحة وعني المسلمون بالجغرافيا الاقتصادية و الثروات المعدنية و الإنتاج الزراعي و المراعي و الحياة الاجتماعية ومراكز

الاستقرار البشري و علاقتها بما حولها وعرفوا محيط الأرض و خط الاستواء منذ عهد المأمون حيث درسها أولاد موسى بن شاكر ولم تعرف أوروبا داخل إفريقيا إلا عن طريق الكتابات العربية التي ظلت المرجع الوحيد حتى القرن التاسع عشر وقد وضع الحسن بن الوزان المعروف باسم ليو الإفريقي كتابا عن وصف إفريقيا (سلامة صالح النعيمات، وآخرون، 2008، صفحة 42).

وقد درس عدد من الأوروبيين في الجامعات العربية وقد ارتحل هربرت الأورياكي (الذي أصبح البابا سلفستر الثاني 999–1003م) إلى كاتالونيا وأمضى ثلاث سنوات ووصل إلى قرطبة لدراسة العلوم على يد معلم مسلم وتجاوز معاصريه بنقله معارفه النظرية إلى مجال التطبيق العملي، واستطاع إعداد وسائل مدرسية متنوعة ، ووضع نظام جديد للحساب ونظام العد العربي وتحول قسطنطين الافريقي من بائع متجول بين تونس وجنوب إيطاليا إلى طالب علم في البلاد الإسلامية ، حيث أمضى بقية حياته في أحد الأديرة ينقل إلى اللاتينية طب العرب وخاصة كتاب "كامل الصناعة الطبية" لعلي بن العباس (الحسيني فاضل محمد، 2006، صفحة 211).

وقد ترجم إيلهار ألباني الانجليزي الجنسية الفرنسي الثقافة جداول الخوارزمي ومبادئ إقليدس، وقد تخصص عدد من المترجمين بترجمة الكتبّ الطبية مثل قسطنطين الإفريقي وجيرارد الكرموني، وقدّم الفكر الفلسفي الإسلامي للأوروبيين مادة جديدة، وفتح أمامهم آفاقا جديدة من الميتافيزيقا فالمؤلفات المترجمة من العربية التي كانت معروفة لدى تيارات الفكر الأوروبي، ويعتمد التطور اللاحق للفلسفة الأوروبية على المؤلفين الفلاسفة العرب.

وفي مجال العلوم كان العرب قد ابتكروا آلات جديدة فراقبوا الطبيعة من مراصدهم، وتوصلوا إلى نتائج مذهلة ونبغوا في الرياضيات وحلول المعضلات التي مكنتهم من إيجاد علوم جديدة وتطويرها، وتعرف الملك ألفونسو العاشر ملك قشتالة على الحضارة العربية الإسلامية، وأمر بترجمة ما وصل إليه من مخطوطات عربية ولا سيما في مجال الفلك (عكاشة شايف، 1994، صفحة 65).

وتأثر الأوروبيون بعلم الطب العربي، إذ عرفوا أساليب الرعاية الصحية واعتمدوا على التجربة والخبرة وأقاموا أول المستشفيات والصيدليات للعلاج، واكتشفوا الدورة الدموية، على يد ابن النفيس، وعرفوا العمليات الجراحية واكتشفوا البنج، واستخدموا الكاويات في الجراحة، وعالجوا خلع الكتف والنزيف وأشاروا إلى تفتيت الحصاة في الكلية، وعرفوا من استعمال التخدير.

لقد كانت البلدان الإسلامية مصدر كل موجة علم أو معرفة في العصور الوسطى، ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسيا وعلميا واقتصاديا ، واستيقظ الفكر الأوروبي على التراث العلمي والأدبي والفني للعرب، فقد قامت الحضارة الغربية على الفلسفة الإسلامية، لقد أبدع العرب المسلمون في شتى العلوم والآداب فوصلت حضارتهم إلى مستوى لا ينافسهم فيه أحد وأصبحت بلادهم مراكز الإشعاع الفكري للعالم وكان التراث العربي الإسلامي في عصر الإسلام الذهبي من النضج والازدهار بما كان، حيث احتل مكان الصدارة في العالم، وكان له دور في تقدّم وتطبيق المنهج العلمي في أوروبا وهو المنهج الذي يقوم على البرهان والدليل (علبي عاطف، 2009، صفحة 74).

7-أشهر العلماء المسلمين في العلوم العقلية :

* جابر بن حيان * الخوارزمي *الخليل بن أحمد الفراهيدي *أبو يوسف الكندي * ابن سينا * أبو بكر الرازي * الحسن بن الهيثم* ابن رشد * الكسائي * الفارابي * ابن البيطار * ابن باجة * الإدريسي " ابن العوام * ثابت بن قرة *حنين بن إسحاق * ابن البناء المراكشي * أبو إسحاق البطروجي * أبو كامل شجاع * ابن زهر الأندلسي * ابن النفيس والزهراوي.

وغيرهم من العلماء المسلمين الذين قدموا خدمات علمية جليلة للإنسانية جمعاء.

فهرس المحتويات:

المحاضرة الأولى: مفهوم الحضارة الإسلامية، وخصائصها وأنواعها:	13
تمهيد:	14
_ تعريف مفهوم الحضارة:	14
أ-لفظة حضارة لغة:	15
ب-الحضارة اصطلاحا	15
_ تعريف الحضارة الإسلامية:	16
_ أنواع الحضارة الإسلامية:	17
_ خصائص الحضارة العربية الإسلامية:	18
المحاضرة الثانية: الامتداد الجغرافي والإنساني للحضارة الإسلامية وأهدافه	19
تمهيد:	20
- المجال الجغرافي والبشري للعالم الإسلامي:	20
- أهداف الامتداد الجغرافي والإنساني للحضارة الإسلامية	23
المحاضرة الثالثة: مصادر الحضارة الإسلامية	25
تمهيد	26
أولا: القرآن الكريم	26
ثانيا: السنة النبوية الصحيحة	27
ثالثا: العقيدة الإسلامية	28
رابعا: الشريعة والأخلاق في الإسلام.. المصدر والغاية	29
خامسا: اللّغة العربية وآدابها من مصادر الحضارة الإسلامية.	30
سادسا: المصادر المكتوبة	30
سابعا: المصادر الأثرية	31
المحاضرة الرابعة: الحواضر الإسلامية الكبرى في المشرق والمغرب والأندلس	32
أولا: روافد الحضارة الإسلامية	34
- التأثير الفارسي:	34
- التأثير اليوناني:	34
- التأثير الهندي:	34
ثانيا: الحواضر الإسلامية الكبرى في المشرق والمغرب والأندلس	35

ـ في المشرق الإسلامي:	35
– في المغرب الإسلامي:	40
– في الأندلس الإسلامية:	41
المحاضرة الخامسة: علوم الطب والصيدلة في الحضارة الإسلامية	43
تمهيد:	44
أولا: الطب الوقائي والعلاجي في الحضارة الإسلامية	44
ثانيا: الصيدلة والعقاقير	47
ثالثا: في مجال الطب	48
1: الالتزام بالمنهج التجريبي:	48
2: الميل إلى التخصص في أحد فروع الطب	48
رابعا: أبرز أعلام الطب والأدوية	49
المحاضرة السادسة: علم الفلك والإسطرلاب في الحضارة الإسلامية	51
تمهيد:	52
أولا: علم الفلك في الحضارة الإسلامية	52
ثانيا: الأسطرلاب في الحضارة الإسلامية	53
ثالثا: إسهامات العلماء المسلمين في علم الفلك	55
رابعا: النظام الفلكي المعتمد أثناء الحضارة الإسلامية	56
المحاضرة السابعة: علم الكيمياء في الحضارة الإسلامية	59
تمهيد:	60
أولا: علم الكيمياء في الحضارة الإسلامية	60
ثانيا: إسهامات الحضارة الإسلامية في علم الكيمياء	62
جهود المدرسة البغدادية في علم الكيمياء:	64
الكندي: الفيلسوف البغدادي:	64
المحاضرة الثامنة: علم الرياضيات والبصريات في الحضارة الإسلامية:	66
تمهيد:	67
أولا: علم الرياضيات في الحضارة الإسلامية	67
الهندسة:	67
ثانيا: إنجازات المسلمين في الرياضيات	69
ثالثا: علم المناظر والضوء " البصريات "	72

المحاضرة التاسعة: العمارة والهندسة في الحضارة الإسلامية	73
تمهيد:	74
أولا: القصور الإسلامية الفاخرة	74
مفهوم القصر، القصور:	76
تاريخ بناء القصور:	77
ثانيا: المساجد والمآذن في الحضارة الإسلامية	77
المآذن:	78
ثالثا: المدن الإسلامية	79
خصائص المدن الإسلامية:	79
أمثلة عن المدن الإسلامية:	80
المحاضرة العاشرة: القوانين والأنظمة الاجتماعية في الحضارة الإسلامية	81
تمهيد:	82
أولا: التنظيم الاجتماعي في الحضارة الإسلامية	82
خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام	82
أهداف النظام الاجتماعي في الإسلام	83
ثالثا: نظام الأسرة في الحضارة الإسلامية	86
المحاضرة الحادية عشر: الأسواق في الحضارة الإسلامية	88
تمهيد:	89
1- تعريف الأسواق:	89
2- أهداف الأسواق:	89
3- أشهر الأسواق:	89
أ- الأسواق الثابتة:	90
ب- الأسواق الموسمية:	93
4- أثر أسواق العرب:	93
5- أهمية الأسواق في الحضارة الإسلامية:	94
المحاضرة الثانية والثالثة عشر: الفنون، الحرف والصناعات في الحضارة الإسلامية	96
أولا: نشأة الفنون في الحضارة الإسلامية	97
اللّغة:	99
الشعر:	99

الحاجة إلى الخطابة:	99
الفنون الزخرفية (الخط):	100
الموشحات (بالفصحى):	100
فن التصوير:	101
ثانيا: الحرف والصناعات في الحضارة الإسلامية	102
الصناعة النسيجية:	104
الصناعة المعدنية:	104
صناعة الفخار:	104
صناعة البسط والسجاد والستائر:	104
صناعة الصابون والعطور:	105
صناعة الجلود:	105
صناعة الورق:	105
الصناعة الخشبية:	106
المحاضرة الرابعة عشر: أثر الحضارة الإسلامية وإسهامات علمائها في الثقافة الأوروبية	107
تمهيد:	108
_ معابر انتقال الحضارة الإسلامية نحو أوروبا	108
المحاضرة الخامسة: تراجم لأشهر العلماء المسلمين في العلوم العقلية.	118
تمهيد:	119
1_ استخدام المنهج العلمي:	119
ابن البيطار:	119
الحسن بن الهيثم:	120
جابر بن حيان:	121
أبو بكر الرازي:	121
2_ علم الجبر:	121
3_ علم الفلك:	122
4_ فن العمارة الإسلامية:	122
5 تأثير بلاد الأندلس على الغرب:	122
6_ الفلسفة:	123
7- أشهر العلماء المسلمين في العلوم العقلية:	125

ملخّص:

تتلخص هذه المطبوعة في تسليط الضوء على أهم المحطات التاريخية والحضارية التي انبثقت منها إبداعات الفنان والمعمار والعالم المسلم في مجالات الحياة المختلفة، ليكون لها الأثر البالغ مشرقا ومغربا وكذا من خلال حركة الفتوحات الإسلامية التي نقلت معها هذا الجانب الحضري إلى بلاد الهند والسند وإلى بلاد أوربا؛ وبخاصة ما عرفته الخلافة العباسية مشرقا والأموية مغربا وبالضبط في بلاد الأندلس لتقدم صورة واضحة عن حقيقة الحضارة الإسلامية التي كانت روحها الإسلام وجسدها المظاهر المادية لهذه الحضارة في مختلف العلوم والمعارف والفنون والصنائع.

Sumary :

This publication aims to highlight the most important historical and cultural milestones from which the creations of the Muslim artist, architect, and scholar emerged in various fields of life, to have a profound impact in the East and the West, as well as through the Islamic conquests that carried this urban aspect to India, Sindh, and Europe. In particular, what the Abbasid Caliphate in the East and the Umayyad Caliphate in the West, and specifically in the lands of Andalusia, provided a clear picture of the reality of Islamic civilization, whose spirit was Islam and whose body was the material manifestations of this civilization in various sciences, knowledge, arts and crafts.